

مُقَدِّمَةُ المَتْرَجِمِ

«دكتور فاستس» مسرحية كتبها «كريستوفر مارلو» الانكليزي الذي ولد في العام 1564، وهي سنة ولادة شكسبير، وتوفي سنة 1593، ولما يبلغ الثلاثين من العمر. وعنوان المسرحية الأصلي هو «التاريخ المأساوي لحياة وموت الدكتور فاستس». وقد نُشرت المسرحية أول مرة العام 1604، أي بعد أحد عشر عاما من موت «مارلو»، ونحو اثني عشر عاما من أول عرضها على المسرح. تدور المسرحية حول رجلٍ باع نفسه للشيطان، لقاء الحصول على قُدرةٍ فائقةٍ ومعرفةٍ عالية، يستطيع بهما أن يفعلَ ما يشاء من الخوارق، عن طريق الشياطين الذين يُسخرُهُم له «إبليس» أمير شياطين الجحيم.

والقصة في الأصل حكاية، بل أسطورةٌ جرمانيةٌ قديمةٌ، ظهرت في كتاب بعنوان Faustbuch أي «كتاب فاست» أو «حكاية فاست». وقد ظهرت أول ترجمة بالإنكليزية لها سنة 1588. ويرى بعض الباحثين أن المؤلف قد اعتمد على نسخة شائعة من الكتاب، ظهرت عام 1952 بعنوان كتاب فاست بالإنكليزية، كما يُعتقد أيضا بوجود نسخة ألمانية قديمة تعود إلى سنة 1587، لكنها مفقودة، وكل ذلك يشير إلى أن حكاية فاست كانت معروفةً متداولةً في ألمانيا وأواسط أوروبا، وظهورها في ترجمة بالإنكليزية، وشيوعها في طبعة شعبية أو أكثر، دليل على تغلغلها في الوجدان الأوروبي على مستويات مختلفة، مما يفسر نجاح المسرحية التي ألفها «مارلو» وتعددت مرّات عرضها على المسرح الإنكليزي، وهي مسألة ذات مغزى كبير في عصر المسرح في عهد الملكة إليزابيث الأولى (1533—1603). وقد أثارت هذه المسرحية من الجدل والنقاش حول مضامينها وشخصها، وبخاصة شخصية فاستس نفسه، قَدَرَ ما أثارت مسرحيات معاصره شكسبير، مما جعل الحكم بشأنها وشأن مؤلفها مسألة يصعب الجزم فيها. وبعض السبب في ذلك أن الحكاية في الأصل، والنسخ المتعددة منها، إلى جانب الصيغ المتعددة من المسرحية، تكشف عن احتمال إضافات أو تغييرات هنا وهناك. وقد ساهمت شخصية المؤلف نفسه، والعصر الذي عاش فيه، وشيوع الآراء الدينية المختلفة في تفسيرات الدين المسيحي، وبخاصة مذهب «جون كالفن» (1509-1564) زعيم الإصلاح البروتستانتي في فرنسا وسويسرا، والجو الفلسفي والفكري في جامعة كمبرج التي تخرّج فيها، وآثار ذلك كله في النقاش اللاهوتي.. ساهم ذلك كله في ضبابية الرؤية حول المسرحية ومؤلفها، وهي رؤية ماتزال ضبابية... قائمة في بلد الضباب.

سُجِّلت هذه المسرحية أول مرة، ربّما، في «سجلّ الورّاقين» *Stationers Register* وهي المؤسسة التي تُعنى بحقوق الملكية للأعمال الأدبية والفنية، وكان ذلك بتاريخ 18 كانون الأوّل (ديسمبر) 1591. ولكن اضطراب تلك السجّلات لا يؤكد هذا التسجيل. وثمّة تسجيل آخر بتاريخ 7 كانون الثاني (يناير) 1601 باسم صاحب مكتبة يُدعى «توماس بوشنيل»، وهو الذي نشر المسرحية عام 1604 أول مرّة. لكن «بوشنيل» أعطى حقوق النشر إلى «جون رايت» بتاريخ 13 أيلول (سبتمبر) عام 1610. وقد ظهرت طبعة 1604 تحت اسم «Ch.Marl.» اختصارا لاسم المؤلف، وهي الطبعة التي صارت تدعى «الصيغة A». ثم ظهرت طبعة ثانية عام 1609 مما صار يُدعى الصيغة A 2 وهي لا تختلف عن طبعة 1604. ومسرحية قوامها 1485 سطرًا، تُعدّ مسرحية قصيرة بمقاييس عصر النهضة (الانبعاث) في إنكلترا. وفي عام 1616 ظهرت طبعة جديدة، صارت تدعى «الصيغة B» وهي مثل سابقتها بحجم «كوارتو» أي ربع الصفحة في مطابع ذلك الزمان. وكانت هذه الصيغة موسّعة عن سابقتها وفيها تغييرات في النص. ثم توالى طبعات هذه الصيغة في الأعوام 1619 و1620 و1624 و1631 حتى 1663.

في طبعة 1616، الصيغة B، ثمّة 36 سطرًا محذوفة. و676 سطرًا جديدًا مُضافة، ممّا يجعلها أطول من الصيغة A بمقدار الثلث. وثمّة بعض التغيير في نص هذه الصيغة الجديدة ليس بينها مُهم سوى ما ورد في الصيغة A في مشهد الندم: «لم يفت الوقت أبدا لو استطاع فاوستس أن يندم»، فصارت «لم يفت الوقت أبدا لو ندم فاوستس» وهو ما يعرض إمكانا مختلفا لأمل فاوستس واحتمال الندم. وثمّة اختلاف في رسم الأسماء، مثل اسم الشيطان مفيستوفيليس الذي يظهر في الصيغة B كما ورد في ترجمة «حكاية فاوست» في الطبعة الإنكليزية لعام 1588. وهذه اختلافات طفيفة قد لا تعني القارئ العربي كثيرا.

وليس من السهل تحديد العلاقة بين الصيغتين، لذا نجد كثيرا من المحرّرين ينشرون الصيغتين معا، ويتركون للقارئ حريّة الاختيار بين الصيغتين، أو قراءتهما معا. وقد اخترت لهذه الترجمة الصيغة B، لأنها في نظر كثير من الباحثين أكمل من الصيغة A، التي يعدّها بعضهم اختصارا للمسرحية الأصل. وثمّة نقطة مهمّة، وهي أن المؤلف في عصر اليزابيث لا تبقى له سيطرة على النص بعد تسجيله في «سجلّ الورّاقين» ولا على العرض على المسرح. لذا كان بوسع الناشر، أو المُخرج المسرحي أن يضيف أو يختصر، أو يحذف مقاطع أو مشاهد أو يضيفها، فتغدو المسرحية في طبعات لاحقة مختلفة بقليل أو كثير عن النسخة التي قدّمها المؤلف أوّلا.

يعتقد أغلب الباحثين أن صيغة 1604 هي الأقرب إلى المسرحية الأصل التي عُرضت على المسرح في حياة المؤلف، وأن صيغة 1616 تحتوي على إضافاتٍ من عمل آخرين . وثمة آخرون يرون أن صيغة 1604 تلخيص لنسخة 1616 التي ظهرت بعد وفاة المؤلف، وأنها هي النسخة الأصلية. فإذا أضفنا إلى هذا الخلاف ما ذكر حول قيام صاحب مسرح Rose في عام 1602 بدفع مبلغ 4 پاونادات إلى اثنين من المسرحيين لإدخال «إضافاتٍ على دكتور فوستس» تبين لنا مدى احتمال إضافات أخرى على النص المسرحي من جانب أصحاب مسارح أو ناشرين آخرين. ومبلغ 4 پاونادات ليس بالقليل في مستويات تلك الأيام، إذا ما قارنا سعر الكتاب في عصر إليزابيث مثلا بسعر الكتاب هذه الأيام. ويُذكر أن شكسبير بعد أن تقاعد من المسرح وعاد إلى مدينته عام 1613 اشترى أكبر دار في «ستراتفورد» بمبلغ 60 پاوند.. فقط وهذا «الدفع» إلى مسرحيين ليسا من مستوى «مارلو» مثلا، قد شجّع بعض أصحاب المسارح على إضافة مشاهد هزلية (كوميديّة) إلى نصّ المسرحية الأوّل أو الثاني. والمشاهد الهزلية، كما في مسرحيات شكسبير ومعاصريه، كانت تُعدّ ضرورية في المسرح الإليزابيثي. وإذا كانت بعض الآراء ترى أن المشاهد الهزلية في مسرحية دكتور فوستس هي من عمل آخرين غير المؤلف، فإن إمعان النظر في أسلوب تلك المشاهد ومغازيها يُشير إلى تحوّل في مشاعر المؤلف نحو الموضوعات الرئيسية في المسرحية. وهذا الرأي يشجّع القول إنه إذا لم تكن المشاهد من عمل المؤلف نفسه، فلا أقل من القول إنه كان يُشرف على إدخالها على النص.

فوجود المهرّج، أو البهلول، ضروري في المسرح الإليزابيثي وتراثه السابق عليه. بوصفه من باب «التنفيس الكوميدي» الذي يأتي بعد مشاهد مأساوية أو عنيفة. مثل ذلك مشهد «روبن» المهرّج وتاجر الخيول في الفصل الرابع.

ومثل ذلك مشهد دخول فوستس والشيطان مفيستوفيليس إلى القاعة الكبرى في قصر البابا وما جرى من السخرية بالمشهد الكاثوليكي، مما أبهج كثيرا من المشاهدين في عصر الإصلاح الديني البروتستانتي الكالفني، وجعل المشاهدين سعداء بأنهم حصلوا من المتعة ما يكفي لقاء 2 پنس دفعوها للدخول إلى المسرح!

تعتمد المسرحية. كما سبق القول، على ترجمة إنكليزية عن «كتاب فوست» في أصله الألماني، الذي له سابق بنسخة لاتينية، مفقودة أيضا. وكان في القرن الخامس عشر في أوروبا عدد من قارئ الحظ ومُستحزري الأرواح يُطلق الواحد منهم على نفسه اسم «فوستس» الذي يفيد باللاتينية «مُفضّل» أو «ميمون» ومنهم «جورجوس فوستس هيلمستيتينس» الذي كان يُطلق على نفسه اسم «عرّاف» أو «قارئ الكف». وقد انتهى به الأمر إلى الطرد من مدينة «إنكولشتات» الألمانية بسبب

ممارساته في السحر والشعوذة. وثمة من الباحثين من يرى أن هذا الشخص هو المثال الذي اتخذ «مارلو» في وصف شخصية فاوستس في المسرحية. ومهما يكن من أمر، فإن مسرحية «مارلو» تترسم حُطى حكاية فاوستس، وبخاصة في المزج بين المأساة والكوميديا في مسيرتها. لكن «مارلو» أدخل بعض التعديلات ليظهر شيئاً من الأصالة في مسرحيته، بالابتعاد قليلاً عن مصدر الحكاية الألماني، ومن ذلك أنه أدخل «المناجاة» في الفصل الأول، التي تتحدث عن حواء المعرفة البشرية، ومن ذلك إدخال ملاك الخير وملاك الشر لتصوير حيرة البطل بين الإيمان الذي يوصل إلى «الخلاص» أو النجاة من «اللغة الأبدية» بالمعنى المسيحي، وبين إنكار المعمودية واتباع الشيطان من أجل مكسب القوة الفائقة والمعرفة الواسعة لاجتراح معجزات فوق طاقة البشر. ومن تلك الإضافات أنه استبدل «موكب الشياطين» المؤلف في «المسرحيات الأخلاقية» القروسطية باستعراض الخطايا السبع المميتة. وهذا تطوير لجانب من «المسرحيات الأخلاقية» التي تمثل المسرحية جانباً منها، في عصر كان ما يزال تحت تأثير أساليب مسرحية في عهد مضى قبل حلول العهد الإليزابيثي. ولكن يخفف من مثالب فاوستس الشخصية الرئيسة، ويرسم هالة تليق بعصر الانبعاث. راح المؤلف يؤكد التطلعات الفكرية وحب الاستطلاع عند البطل، ولو في مجالات هي أبعد من قدرات البشر. ومن هنا جاءت صفة التجاوز والتخطي التي أطلقها البروفيسور «هاري ليفين» في كتابه الموسوم *The Overreacher* المتخطي.

تقوم المسرحية في بنيتها على الشعر المرسل *blank verse* من الوزن الأيامي الخماسي التفعيلات في الغالب، الذي يخلو من القافية، كما نجد في مسرحيات شكسبير معاصره. وهناك استخدام النثر، في ثلاثة عشر مشهداً في صيغة 1604 وعشرين مشهداً في صيغة 1616. والشعر المرسل يكون بالدرجة الأولى في المشاهد الرئيسة. وفي كلام الجوقة.

بينما يُستعمل النثر في المشاهد الكوميديّة التي يكثر فيها الكلام العامّي المبتذل والتجديف بأغظ الأيمان. وفي الطبقات الحديثة تنقسم المسرحية إلى خمسة فصول، آخرها هو الأقصر. وفي هذه المسرحية، كما في الكثير من المسرحيات في عهد إليزابيث، توجد شخصية الجوقة وهي «الكورس» في المسرح الإغريقي منذ «أيسخيلوس» و«سوفوكليس» و«يوريپيديس».

لكن «الكورس» في المسرح الإغريقي يتكون من عدد من الممثلين، يُنشدون بصوت واحد، في أول فصول المسرحية أو في آخرها، محذرين مما سوف يقع أو يجري في الفصل أو في المسرحية جميعاً، أو يعلقون على ما حدث في آخر الفصل أو آخر المسرحية. لكنهم في جميع الأحوال لا يشتركون في التمثيل. في مسرحية دكتور

فاوستس، اختصر «مارلو» الجوقة إلى مُمثل واحد، يقوم بالدور الذي تقوم به الجوقة في المسرح الإغريقي.

تمثل «المناجاة» خصوصية بعينها في مسرحية دكتور فاوستس. يرى أحد الباحثين أهمية خاصة في مناجاة الافتتاح ومناجاة الختام.

فالمناجاة تحمل الجمهور على المشاركة الخيالية في الأحداث التي تجري على المسرح.

فما يقوله فاوستس في المناجاة يجلب الانتباه إلى أفكار المتكلم ومشاعره حول الخضوع للشيطان. وفي مناجاة البدء ومناجاة الختام أفكار متوازية، ففي الأولى يبدأ فاوستس بتأمل مصير حياته وما يريد لمسيرة حياته أن تكون، وتنتهي المناجاة الأولى بقرار فاوستس أن يتنازل عن حياته للشيطان. ومثل ذلك يجري في المناجاة الثانية، حيث ينتهي التأمل إلى تفاهم مع القدر الذي اختطه لحياته.

موضوع المسرحية الرئيس يبتعد عن المؤلف في المسرحيات القروسطية السابقة على العصر الإليزابيثي. فهي لا تتحدث عن قديسين ولا ملوك ولا أمراء ولا حروب ولا موضوعات حب في البلاطات والقصور. هي مسرحية عن رجل يدعى فاوستس، من عامة الناس، وُلد لأبوين من طبقة اجتماعية دنيا، لكنه يبقى إنسانا يستحق أن يكون موضوعا للمسرح قَدْرَ ما يستحق القديسون والملوك والأمراء. وربما كان في هذا بعض إشارة إلى مولد «مارلو» المتواضع، وهو ابن صانع أحذية لم يكن غنياً ولا مشهوراً، لكنه كان يتمتع بذكاء وقابليات فكرية، ازدهرت في اختياره لمنحة دراسية إلى جامعة كمبرج، حيث تفجرت قدراته الفكرية في المنطق والحجاج. وثار على تقاليد الدين والمجتمع. لكنه، مثل فاوستس، حاول أن يتجاوز ويتخطى قدراته البشرية، فأصيب بغرور العظمة. ومثل «إيكاروس» حاول الطيران نحو الشمس، بجناحين مثبتين بالشمع، فلما «تجاوز» الحدود، بالاقتراب من الشمس، أذابت الشمس جناحيه فسقط في البحر ولقي الهلاك. و«مارلو» كذلك انتسب إلى جمعية إحادية، وساهم في أعمال جاسوسية للدولة، ضد الكاثوليكية التي كانت تستमित في صراعها مع كالفنية الدولة والكنيسة الأنكليكانية. فسُجن لحين، ثم اشترك في مبارزة قاتلة لا يُستبعد أن يكون سببها سياسياً أو خلافاً مذهبياً. مارلو، مثل فاوستس، تخطى الحدود.

هو في حالة فاوستس تجاوز على حدود وضعها الله للبشر، فالحلف مع الشيطان هو أخطر أنواع التحدي، ليس لإرادة الدولة أو الكنيسة، بل هو التحدي لإرادة الله في البشر. كان فاوستس مبرزاً في دراسته في جامعة «فيتنبرك» الشهيرة في ألمانيا، التي درس فيها «هاملت» وزميلاه «روزنكرانت» و«كلدنشترن». هناك حصل على لقب دكتور بسبب تفوقه في علوم اللاهوت والفلسفة. لكنه لم يجد ما يُرضي تشوقه

لمعرفة المزيد، وهي الصفة التي تسم الإنسان في عصر (النهضة)، وهو ما يدغدغ عواطف الجمهور الإليزابيثي. لم يقتنع فاولستس بعلم عصره من منطق ولاهوت وطب وقانون، واجدا في كل علم تقصيرا ونقصا لا يرضي غروره العلمي. لذلك التجأ إلى السحر الأسود وعلم استحضار الأرواح، وهذه بداية الخروج على الإرادة الإلهية، والتخطي نحو مجال الشيطان، الذي قاده نحو الهلاك.

ومارلو درس في أشهر جامعة في عصره، إلى جانب جامعة أكسفورد، لكنه لم يكن قانعا بما يُعرض من علوم وفلسفة على ما يبدو، لأنه كان كثير التغيب عن الجامعة، على مدى سنتين تقريبا، لأنه كان «في مهمة تتعلق بسلامة وطنه» كما ورد في مذكرة الديوان الملكي الذي «أمر أن يُمنح الماجستير كالعادة» على الرغم من تغيبه، فتصرف فاولستس وتعالاه على المؤلف قاد إلى هلاكه، وتصرف مارلو وتعالاه على المؤلف من علوم الجامعة والشؤون الدينية في عصره قاده إلى الكفر والتجديف والموت بطعنة بخنجره هو، لا بخنجر الخصم، ممّا وجده أصحاب التدين البيوريتان في عصره جبرية القدر الإلهي المحتوم على الكافر.

يبدأ فاولستس بالطلب إلى خادمه «فاكنر» أن يستدعي له اثنين من مشاهير السحرة: «قالديس» و«كورنيليوس»، ليعيناه على ممارسة السحر. لكن حضور ملاك الخير وملاك الشر يطور المشهد، إذ يُحذره الأول من نتائج انغماسه في أعمال السحر، بينما يشجعه الثاني عليها. هنا تظهر أولى علامات التردد عند فاولستس/ الإنسان، فيقول في حيرة: كيف أتخمت بهذه الفكرة؟ وهذا، مثل المناجاة الأولى، يُشرك الجمهور في التساؤل المؤلم: أين يقف الإنسان بين الخير والشر؟ هل إن أعماله هي التي تقرر ذلك (الاختيار الحر) أم أن مصيره مقدر بقوة خارجية (جبرية القدر الإلهي)؟ ينصح الساحر «قالديس» أن يتفرغ فاولستس إلى علوم السحر ويتوقف عن دراسة علوم غير السحر. وهذا ما يستجيب لتردد فاولستس وشكوكه حول قيمة ما كان يدرس من علوم، كما يصور لنا المشهد الأول، حيث كان فاولستس جالسا في مكتبه يتأمل.

فنصيحة الساحر، التي تمثل أولى خطوات فاولستس نحو التهلكة، تثير فيه الغرور، إذ يقول إن السحر يمكن فاولستس أن يجترح خوارق الأعمال لأنه مؤهل بكثير من المعرفة. والتشوّف لمزيد من المعرفة، بعد أن وصل الذروة في العلوم في عصره، كما صرح باختيال، هو الذي دفعه إلى التجاوز والتخطي، كما فعل «إيكاروس» وهو الذي أدى إلى سقوطه، كما سقط الطائر بجناحين لا يدعمهما سوى الشمع القابل للذوبان.

وتعاطي السحر، واستحضار الأرواح «هذه الليلة قبل أن ينام» أقلق زملاءه من العلماء، طلبه العلم مثله في «فتنبرك» فجاء اثنان منهما يسألان خادمه «فاكنر» عنه. يكون جواب «خادم الأستاذ أستاذ ونصف» باستخدام لغة المنطق والحجاج، التي كان

يسمعا في دار فاوستس، وفي محيط الجامعة، نوعا من مشهد كوميدي مصغر، قد يشير إلى أن مارلو لم يكن ليمنع من إدخال مشاهد كوميدية أخرى في مسرحيته، إن لم يكن هو مؤلفها، فلا يُستبعد أن يكون قد أشرف عليها، أو أضيفت بموافقة منه. يستدعي فاوستس شيطانا، بحضور إبليس وشياطين آخرين لا يعي فاوستس وجودهم. وبعد أن يرسم على الأرض دائرة السحر، ويتمتع ببعض التعاويذ ويتخلى عن المعمودية، يرى شيطانا فطيع المنظر أمامه، فلا يُعجبُه، فيأمره أن يُغيّر ذلك المنظر. وإذ يُطيع الشيطان مفيستوفيليس ذلك الأمر ويعود للظهور بشكل مقبول، يزهو فاوستس إذ يرى الشيطان يُطيع أمره، وهو ما يزال في أول الطريق من ممارسة السحر، فيقوّي فيه العزم على الاستمرار، ويطلب من الشيطان مفيستوفيليس أن يقيم على خدمته، لكن مفيستوفيليس يرفض، بدعوى أنه في خدمة إبليس، ولا يقوى على القيام بأي عمل من دون موافقة أمير شياطين الجحيم. هنا كذلك إشارة ثانية لا تخفى على الجمهور أن الإيغال في الضلالة يكون على مراحل، وبوسع الضال أن يعود في بداية طريقه، لأن الاستمرار مع مفيستوفيليس يتطلب موافقة شيطان أكبر. ثمة أمل إذن، أن يعود الضال إلى صوابه. لكن هذا لا يحدث في المسرحية، لأن فاوستس يقيم على ضلاله بتشجيع من الشيطان، والأحداث، وتحريض ملاك الشر. وثمة إشارة أخرى أن الضلالة ليست من فعل الشيطان وحده، بل هي من فعل الإنسان. فإذ يرفض مفيستوفيليس طلبا من فاوستس، الذي يعاتبه ويقول إنه هو الذي أمر ذلك الشيطان بالحضور، يكون الجواب إن مفيستوفيليس قد حضر من دون أمر من فاوستس، بل إنه قد حضر بمحض إرادته. فكل إنسان يُجَدّف أو يُنكر معموديته يهرع إليه الشيطان ليستحوذ على روحه. وهذه إشارة أخرى إلى أن أفعال المرء هي التي تقوده إلى الصلاح أو إلى الهلاك. كل ذلك يمثل موقفا من «الجبرية المطلقة» التي يمثلها «كالقن» والفلسفة اللاهوتية السائدة في العصر الذي عاش فيه مارلو، وفي محيط جامعتي كمبرج وأكسفورد.

حضور الشيطان مفيستوفيليس يزيد من دفع فاوستس نحو الإيغال في أعمال السحر الخطيرة. فهو إذ يسأل عن طبيعة الجحيم يكون جواب الشيطان إن هذا من الأسئلة العابثة التي تثير الرعب في نفسه وروحه الداوية، وأن الجحيم لا حدود واقعية له، بل هو حالة ذهنية محض. تُرى لماذا لم يستطع فاوستس إدراك هذا التهرب والمواربة في الجواب؟ أهذا تلميح بأن بعض الضلالة مقدرة على البشر من جهة أعلى، وبذلك إحياء ببعض القبول بالجبرية والقدر المحتوم؟ هذا الغموض في الموقف يؤدي بالبطل المأساوي أن يقترب من إبليس أكثر، فيعقد معه، بوساطة مفيستوفيليس، عهدا أن يعيش على الأرض أربعة وعشرين عاما، يكون فيها الشيطان في خدمته ليعينه على

اجتراح كبائر الأعمال. وبنهاية المدة يتخلى فوستس عن روحه لإبليس ثمنا لما قدم من خدمات خلال الأربعة وعشرين عاما، ويقيم بعدها في الجحيم ملعونا إلى الأبد. وكان الشرط أن يكتب فوستس عقد التعهد بدمه ويختمه.

وإذ يطعن التعيس ذراعَه يلتئم الجرح بسرعة، بقدرة ربانية، في إشارة أخرى إلى إمكان الرجوع عن اقتراف الخطأ. وتظهر على الذراع المجروح عبارة «يا إنسان اهرب» وهي عبارة من الإنجيل، يكون إدخالها في هذا الموقف الشيطاني تجديفاً آخر. ولكن فوستس يتجاهل هذا التحذير، لأنه «ومن الجهالة ردغ من لا يرعوي / عن عيِّه وخطاب من لا يفهم». وتسويغ إهمال فوستس لهذا التحذير أنه ملعون في البدء، بفعل أعماله، لذا ليس أمامه من مهرب، دغدغة أخرى لمشاعر أصحاب الكالفنية والمؤمنين بالقدرية معا. هنا يأتي مفيستوفيليس بوعاء فيه جمرات نار يفتح بها الجرح من جديد فيمكن فوستس من إكمال وثيقة العهد لإبليس وختمها.

هنا يحسب فوستس أنه قد بدأ عهدا يستمتع فيه بالمعرفة الفائقة عن طريق الوسيط الشيطاني مفيستوفيليس، فيبدأ بأسئلة عن الأفلاك والكون مما كان يشغل أهل العلم في عصر الانبعاث. لكن مفيستوفيليس يزوغ في أجوبته مما يوحي للجمهور والقراء أن المعرفة المؤملة لا سبيل إليها عن طريق الشيطان، مع شعور في المنطوى أن المشروع بأكمله قائم على خواء. في هذه الساعة يظهر أمام فوستس ملاك الخير وملاك الشر. يلح عليه الأول أن ينسحب من الوعد الذي قطعه لإبليس ويعلم التوبة. لكن فوستس يبقى على ضلاله ويمتنع عن إلغاء العهد، وهذه أكبر الخطايا، التي قادته سريعا إلى الهلاك. هنا يظهر فوستس أمام زملائه العلماء ويخبرهم بأنه قد حقت عليه اللعنة، ويفسر كيف حدث ذلك له بخطاب يوحي بشيء من الندم والرغبة في التوبة. لكن ذلك لا يحدث، وسرعان ما يأتي مفيستوفيليس ليحمل غنيمته إلى الجحيم. ولم يُغير من عناد فوستس مشهد استعراض الخطايا القاتلة السبع التي جهّزها إبليس للتسرية عنه، لأنه كان يمارس فعلا تلك الخطايا، وكأن الاستعراض استخفافاً آخر برغبة فوستس بالإحاطة بما يفوق طاقته البشرية. وهذه سخريّة شيطانية أخرى تفوق سخرية مفيستوفيليس في تقديم إجابة عقيمة عن أسئلة دقيقة قدمها فوستس. إبليس ووسيطه أوقعا التعيس في الفخ.

في مسرحية دكتور فوستس عدد من الموضوعات الرئيسية، أولها موضوع الخطيئة. وأولى خطايا فوستس السبع المميتة هي الطمع أو الجشع، الذي لم يفلح استعراض الخطايا بتذكيره إياه. فهو يطمع بمعرفة فائقة، تتجاوز حدود البشر. فيلجأ إلى الشيطان للحصول عليها، لكن تلك الخطوة تجعل خطيئة طمعه قاتلة. ثم هناك الكبرياء أو الغرور الذي يلازمه عندما يتطلع البشر الأسوياء إلى خوارق أعماله ويعجبون بها،

وذلك مما يزيد من غروره. والموضوع الثاني هو البحث الدؤوب عن المعرفة. ففي عصر الاستنارة كان طلب العلم خارج حدود التأمل العقلي هو طلب معرفة المزيد عن الكون وطبيعته، والأفلاك ومداراتها، وخلق الكون، والجنة والنار، وهي الموضوعات التي كانت تشغل ذهن فاونستس على امتداد المسرحية. والموضوع الثالث هو الشيطانية والموت. عبودية فاونستس للشيطان لم تأت بالنتيجة المرجوة، بل جاءت بعكسها. فنرى في نعمة ندمه المتأخرة ما يوحي بأنه لو علم بما كانت ستنتهي إليه عبوديته للشيطان لما فعل ما فعل. تلميح آخر للجمهور. والموضوع الرابع هو السحر واستحضار الأرواح، وقد يكون الأبرز بين الموضوعات. فقد بدأت المسرحية بتفضيل علم السحر على جميع العلوم في عصره، وهو ما تلخصه المناجاة الأولى في مكتبه. فالسحر يمكن فاونستس من اجترار أعمال يعجب بها الجمهور فيحسبونه بطلاً فيأخذوه الغرور. والسحر يعينه أن يدخل إلى البلاط البابوي غير مرئي ويقوم بألعاب صبيانية للسخرية من البابا وتسليية الجمهور البروتستانتية من المشاهدين. وبالسحر يستحضر أرواح الإسكندر الأكبر وهلين الطروادية وأمثال ذلك من عبث العابثين. والموضوع الخامس، وهو التآرجح بين الخير والشر، قد يكون أهم الموضوعات في المسرحية. فمنذ بداية المسرحية إلى نهايتها يكون هذا الموضوع ماثلاً في صورة ملاك الخير وملاك الشر، وفاونستس يدرك الفرق بين الخير والشر ونتائجهما، لكن طمعه في المعرفة، وغروره بمظهر العارف الأكمل، ونزوعه إلى الملذات، وطلبه زوجة يعوضها مفيستوفيليس بواحدة من بنات الهوى الناريات، كل ذلك يبين انغماس فاونستس بالخطايا القاتلة التي لا يُلقي لخطرها بالا. وهذا ما يقود فاونستس إلى نهايته المأساوية.

وشخصية مفيستوفيليس تستدعي إمعان النظر في طبيعتها ودورها. فهو في خدمة إبليس، لكنه لا ينطوي على شرٍّ مثله. فهو يُحاول أن يصف الجحيم وآلامها أمام عقل فاونستس لكي يدرك ما هو مُقدمٌ عليه قبل التوقيع على العهد مع إبليس. لكن فاونستس لا يرعوي، ويفضل التفكير بالمعرفة الفائقة والقدرة القادرة، غير مبالٍ بما ينتظره من جحيم. مفيستوفيليس قد رأى وجه الله في الجنة، وكونه الآن في خدمة إبليس تصوير للحزن الناجم عن الابتعاد عن الله. لكن فاونستس لا يفهم بالإشارة، حتى ولو كانت من باب النصيحة المخلصة الصادرة عن شيطان. فالإصرار على الخطيئة يقود إلى الهلاك. وموضوع الخطيئة هذا كان الشاغل في التفكير اللاهوتي في القرن السادس عشر، وبخاصة في جدل الفلاسفة واللاهوتيين في كمبرج، أيام كان مارلو طالباً فيها عام 1580 وما يليه. كان الجدل يدور بين أنصار «كالقن» وبين معارضيهِ. فالأول يؤمن بالجبرية المطلقة التي كانت تسود المحاضرات وكتابات اللاهوتيين في العقود الأخيرة

من القرن السادس عشر، حتى غدت الكالفنية في عهد المصلحين الطهريين (البيوريتان) هي الموقف المسيحي الأصيل في «كنيسة إنكلترا» أي الكنيسة الأنكليكانية.

يرى «كالفن» أن مصير الإنسان قَدَرٌ إلهيٌّ صادرٌ مسبقاً. وذلك يعني أن الله بإرادته الحرّة يختار من يشاء للخلاص أو اللعنة، وبدا لا يكون للإنسان الفرد أي سيطرة على نهايته. وكان هذا المبدأ سبب جدل كبير بين أنصار الكالفنية ومناهضيها الذين يرون أن هذا المبدأ يُحدّد إرادة الإنسان الحرّة بما يتعلق بالإيمان والخلاص ويؤدّي إلى مشكلة حول «العدالة الإلهية» وتطبيقها. وصارت مسرحية دكتور فوستس موضع تساؤل إن كان مؤلفها كالفني الميول أو مناهضاً للمذهب، لأن الحوارات في النص توحي بهذا حيناً وبذاك حيناً آخر. هذه مسألة يصعب الجزم فيها لاشتباك المؤثرات والأفكار السائدة في عصر تأليف المسرحية، ولصعوبة الجزم كم من الآراء في المسرحية تتصل بحياة المؤلف وسيرته.

لكن أصحاب الكالفنية يرون في فوستس أسوأ أمثلة الخطاة، لأنه قد ذاق النعمة السماوية ثم رفضها. وذلك إشارة إلى عبارة «يا إنسان اهرب» عندما جرح فوستس ذراعه ليكتب عهداً بدمه مع الشيطان، فتوقف الجرح عن سيله، وكان بوسع فوستس أن ينسحب من وعده لإبليس ويعلن الندامة، لكنه رفض. وجاء مفيستوفيليس بجمرات النار وفتحَ بها الجرح ليكملَ فوستس كتابة العهد وختمه. وتبعاً لهذا الرأي، فإن المسرحية تمثل «السبب ثلاثي الطبقات» حيث تكون لعنة فوستس بإرادة إلهية، وإرادة شيطانية، وإرادة بشرية، أما خصوم الكالفنية فيرونَ هذا التفسير مقبلاً، لأنه يبعث على اليأس في نفوس المؤمنين ولا يحثُّ الخطاة على الندم، ويخلق معضلة حول «العدالة الإلهية». وهم يرونَ في المسرحية نقداً لمفهوم «كالفن» عن الاختيار الإلهي بين «الأشرار» و«الأبرار» ويرى أبرز خصوم الكالفنية أن المبدأ يزيد في تعقيد قضايا الإيمان والتوبة، ويتسبّب في كثير من الاضطراب بين المؤمنين في كفاحهم نحو سواء السبيل.

ونجد ما يمثل ذلك في كلام فوستس نفسه في المسرحية، حيث يتساءل: «مكافأة الخطيئة موت»؟ هذه صعبة. فإذا قلنا نحن لا نخطئ فنحن نخدع أنفسنا.

هذه مسائل تعرضها المسرحية، لا نحسب في الإمكان الحسم بشأنها، مادام هناك في الدين، وفي السياسة كذلك، آراء متضاربة هنا وهناك. يا ترى هل تغيّر الناس والعالم منذ أن قال المعري قبل أكثر من ألف عام:
كلُّ يعزّز دينه ياليت شعري ما الصحيح؟!!

في ترجمة، أو «نقل»، بلغة جدنا الجاحظ، هذه المسرحية إلى العربية، ثمّة مسألتان، لا يمكن للناقل أن يقرّر بشأنهما بسهولة، مثل القرار بين أنصار الكالفتية وخصومها. أولهما لغة العوام الإنكليز، وهي «كوكني» في لندن، أو «ألفاظ العامة ولغات الداصة» بعبارة ابن سناء الملك في كتابه: دار الطراز. و«الداصة» هم «السوقة واللصوص». في هذه المسرحية غير قليل من هذه اللغة التي يتكلمها المهرجون، فكيف ننقل هذه العامية وإلى أي واحدة من عاميات العربية ننقل؟ من المحال أن ننقل إلى عربية فصيحة كلغة الشخصيات الرئيسية، لأن ذلك يلغي الغرض من ورودها بهذا الشكل. لكل واحدة من العاميات العربية «جمالها» الخاص. بلى، جمالها الذي لا يمكن نقله، وإذا وجدنا له ما يقابله في عامية أخرى فذلك نصف الأجر لاجتهاد لم يكتمل. في عبارة " تو الناس " الكويتية، و " مكانش العشم " المصرية، و " شو جاب لجاب " الفلسطينية دقةً وجمال عَصِيان على النقل. لذا كان عليّ أن «أجتهد» بتحويل العربية قليلاً، والتجاوز على النحو والصرف أقلّ من ذلك، في محاولة يائسة لنقل المراد، وفي ذلك من العنت ما لا يخفى على القارئ... المنصف.

والمسألة الثانية أشدّ صعوبة، وهي الأيمان المغلظة والتجديف المنبوذ في الإسلام والمسيحية معاً. ففي الإسلام (ولا تجعلوا الله عرضةً لأيمانكم) وفي المسيحية «لا تحلف باسم الله باطلاً». والتجديف ذكر اسم الله أو المقدسات زورا وبُهتاناً. مثل هذا كثير في كلام العامة والمرذولين. فبدل أن يُقسم، أو يشتم، فالكلمتان يجمعهما الفعل *swear*، يُقسم الواحد «بجروح الله» والعياذ بالله، ويقصد «جروح المسيح» *god's wounds* ولا يخفف منها قوله *zounds* فهي كلمة القسم نفسها. وآخر يقسم «بمسامير المسيح» على الصليب فيقول *snails* ويقصد *god's nails*. وثالث يقسم «بمريم» فيقول *marry* ويقصد *Mary*. وهذه جميعها شتائم وسُبَاب. فكيف ننقلها إلى عربية عامية مقبولة سلوكياً، موحية.. تجديفاً؟ مرة أخرى، لا بد من التحويل والتفسير غير المؤذي ذوقاً ولغةً. والباقي متروك لخيال القارئ.

عبدالواحد لؤلؤة كمبرج – بريطانيا، شباط (فبراير) 2013

دكتور فاوستس
شخصيات المسرحية

الجوقة
دكتور جون فاوستس
فاكتر
ملاك الخير
ملاك الشر
قالديس
كورنيليوس
ثلاثة طلاب علم
إبليس
شياطين
مفيستوفيليس
روبن، المهرج
شيطانة
دك
رئيس الشياطين

الخطايا السبع المميتة
الكبرياء
الطمع
الحسد
الغضب
الشره
الكسل
الفسق

البابا آدريان
ريموند، ملك هنكاري
برونو، البابا الغريم
كاردينال فرنسا
كاردينال بادوا
رئيس أساقفة رايمس

مطران لورين
رُهبان
نُسّاك
خَمّار
مارتينو
فريدريك
ضُبّاط
سادة
بنقوليو
إمبراطور ألمانيا چارلس الخامس
دوق ساكسوني

أرواح
الإسكندر الكبير
عشيقتة
داريوس

شياطين
بيليموث
أرجيرون
أشتاروث

جنود
تاجر خيول
حودي
صاحبة حانة
دوق قانهولت
دوقة قانهولت
خادم
هيلين الطروادية، روح
عجوز

مأساة الدكتور فاوستس

النص B

مقدمة

[يدخل الجوقة (1)]

الجوقة: لا بالزحف في سوح «تراسيمياني (2)»
 حيث وقف إله الحرب إلى جانب القرطاجيين،
 ولا بالهوى في معاينة الحب
 في أبهاء الملوك حيث تُفوّض الحكومات،
 ولا في بهرج جلائل الأعمال الجريئة،
 يُريدُ ملهْمنا أن يَنْبَجَّ بشعره السامي.
 بل هذه وحدها، يا سادة: يجب أن نُمثِّلَ الآن
 شكل حُظوظِ فاوستس، سعيدها وعائرها.
 والآن نتوجّه إلى الأحكام المتأنيّة،
 ونتحدّثُ عن فاوستس في طفولته.
 الآن قد وُلِدَ، لأبوين من أصل متواضع،
 في ألمانيا، في مدينة تدعى «رود».
 وفي سنوات شبابه ذهب إلى «فيتنبرك (3)»،
 حيث نشأ في كنفِ نويه أساساً.
 وقد أفادَ كثيراً من علم اللاهوت
 وسرعان ما أُنعمَ عليه بلقب دكتور،
 متفوقاً على الجميع، قادراً على الإبداع في الحجاج (4)
 في مسائل اللاهوت السماوية،
 حتى إذا امتلأ بالمعرفة وأخذهُ الغرورُ،
 حَمَلَهُ جناحاه الشمعيّان (5) إلى فوق ما في طاقته،
 فذابا، فاتفقت السماوات على إسقاطه.
 وإذ هوى إلى تعاطي الأعمال الشيطانية،

وغرق في هدايا المعرفة الذهبية،
صار يُفَرِّطُ في سِحْرٍ لَعِينٍ يَسْتَحْضِرُ الأرواح.
لا شيء لديه كَالسَّحْرِ في الحلاوة،
يُفَضِّلُهُ على نِعْمَتِهِ الأكبر (6).
وها هو الرجل جالسا في مكتبه.
[يخرج الجوقة]

1-1

[فاوستس في مكتبه]

فاوستس: انتَه من دراساتك، يا فاوستس، وابدأ
بِسَبْرِ غُورِ ذاك الذي سوف تُمارسه.
أما وقد بدأت، فكن لاهوتيا في المظهر،
واهدف إلى نهاية كل معرفة،
وعش وامت في أعمال أرسطو.
أيها المنطق العذب، أنت الذي تيممتني
[يقراً]

5

«الحجاجُ الجيدُ غايةُ المنطق»،
هل الحجاجُ الجيدُ غايةُ المنطقِ الأولى؟
ألا تؤدي هذه المعرفة إلى معجزة أعظم
إن لا تقرأ أكثر، فقد بلغت الغاية.
موضوعُ أعظم يناسب عقلَ فاوستس.

10

وداعا أيها " الوجود والعدم (8) " وتعال يا جالينوس!
كن طبيبا يا فاوستس. كدس الذهب،
وكن مخلداً بما تصنع من علاج عجيب.

[يقراً]

«غاية الطبِّ صحة الجسم»

15

غايةُ الطبِّ صحّةُ جسمنا
لم يا فاوستس لم تبلغ تلك الغاية؟
أليست وصفاتك مُعلّقة في كل مكان،

حيث أنقذت مُدنا برُمّتها من الطاعون
 وشفت أوفَ الأمراض المُستعصية؟
 لكنك ماتزال سوى فاوستس، وإنسان.
 فلو قدرت أن تجعلَ البشرَ يعيشون إلى الأبد،
 أو، إذا ماتوا، تبعثهم إلى الحياة ثانية،
 لكنت هذه المهنة موضع تبجيل.
 وداعا أيها الطب! أين «جستيان (9)»؟

25

[يقراً]

"إذا وُرتَّ شيءٌ تركةً لوارثين اثنين،
 يأخذ الأول ذلك الشيء نفسه ويأخذ الثاني ما يُعادلُه نقداً...."
 حالة تافهة لتركات هزيلة!

[يقراً]

«لا يقدر الأب أن يحرم ابنه من الميراث إلا إذا...».
 هكذا هو موضوع «مجموعة جستيان»

30

والهيئة العامة للقانون.

هذه الدراسة تناسب جهد مُرتزق.

لا يهدف إلا لقشرة خارجية.

دراسة شديدة الإذلال لي، ضيقة الأفق.

وإذ ينتهي كل شيء، اللاهوت، هو الأفضل.

ترجمة «جيروم (10)» يا فاوستس، تمعن فيها جيداً.

[يقراً]

«مكافأة الخطيئة هي الموت». هه!

" مكافأة. " . . .

مكافأة الخطيئة هي الموت؟ هذه صعبة.

[يقراً]

«إذا ادّعينا أننا لم نخطئ، كذبنا

وليس فينا حقيقة»

إذا قلنا إن ليس لدينا خطيئة،

فنحن نَخَدَع أنفسنا، وليس فينا حقيقة.
إذن يبدو أننا يجب أن نُخطئ،
وهكذا بالنتيجة نموت

45

بلى، يجب أن نموت موتاً أبدياً.
أي مُعْتَقِدِ هذا الذي تقولون.
" ما الذي سيكون، سوف يكون ".
ما الذي سيكون، سوف يكون. وداعاً يا لاهوت!
[يتناول كتاباً في السحر].

50

ما ورائيات السِّحْرَة هذه، وكُتِبَ استحضار الأرواح سماويّة،
خُطوط، دوائر، حُرُوف، أرقام--،
بلى هذه هي ما يَرَعْبُها فاستس بشدة.
أه، أي عالم من الفائدة والسرور،
من القوّة، والرّفعة، والقدرة القادرة

55

يَنْتَظِرُ الممارسَ المَثابِر!
كل ما يتحرّكُ بين القطبين الساكنين
سيكون طوع إرادتي. الأباطرة الملوك
مُطاعون لكن في أقاليمهم الخاصة،
لكنّ مملكته التي تفيض عن هذه
تمتد على امتداد فكر الإنسان

60

الساحرُ البارِعُ نصفُ إله.
بهذه اشغِلْ عقلي لأبلغ الألوهة. فاكنر!

[يدخل فاكنر]

بلّغ تحياتي إلى صديقيّ العزيزين،
الألمانيّين «قالديس» و«كورنيليوس»
واطلب إليهما بالحاح أن يزوراني.

65

فاكنر: سأفعل، يا سيدي.

[يخرج فاكنر].

فاوستس: اجتماعي بهما سيكون عوناً أكبر لي
في جميع جهودي، مهما كَدَحْتُ في ذلك.

[يدخل ملاك الخير وملاك الشر].

ملاك الخير: يا فاوستس، اترك ذلك الكتاب اللعين جانبا
ولا تنظر فيه، لنلا يُغوي روحك.

70

ويُهَيِّلَ غَضَبَ اللَّهِ الشَّدِيدِ فَوْقَ رَأْسِكَ!

اقرأ، اقرأ الكتب المقدسة. هذا تجديف.

ملاك الشر: تقدّم، يا فاوستس، في ذلك العلم الشهير
الذي يضمّ كنز الطبيعة جميعاً.

كُنْ أَنْتَ فِي الْأَرْضِ مِثْلَ «يُوبِيتِر (11)» فِي السَّمَاءِ
سَيِّدًا وَحَاكِمًا لِهَذِهِ الْعُنَاصِر (12).

75

[يخرج المَلَكَان]

فاوستس: كيف أتخمت بتصوّر هذا!

هل سأجعل الأرواح تحمل إليّ ما أريد؟

وتُخَلِّصَنِي مِنْ جَمِيعِ الْأَوْهَامِ.

وتقوم بأي عمل يائس أريد؟

80

سأجعلهم يطiron إلى الهند في طلب الذهب،

ويكتسحون المحيط بحثاً عن لؤلؤ المشرق،

ويُنقَبون في جميع أركان العالم الجديد

بحثاً عن فواكه لذيذة وأطيب نفيسة.

سأجعلهم يقرأون لي فلسفة غريبة

85

ويُطلعوني على أسرار جميع الملوك الأجانب.

سأجعلهم يُسَوِّرونَ ألمانيا كلها بالنحاس الأصفر

ويجعلون نهر الراين الدافق يدور حول «قيتنبيرك» الجميلة.

سأجعلهم يملأون قاعات الجامعة بالحريير،

ليترين الطلاب بجمال الملابس.

90

سأجند الجنود بما يحملون لي من مال

- وأطرُدُ أميرَ «پارما»⁽¹³⁾ من أرضنا،
وأصيرُ مليكاً على جميع الأقاليم،
بلى، وآلاتِ حربٍ هجومية
95 أشدَّ غرابةً من سفينة النار في جسر «آنتويرب».
سأجعلُ مَنْ في خدمتي من الأرواح يخرعون.
تعالَ يا «قالديس» الألماني ويا «كورنيليوس»،
أنعمَا عليّ بمشورتكما الحكيمة!
[يدخل «قالديس» و«كورنيليوس»]
قالديس، يا قالديس الحبيب، ويا كورنيليوس
100 اعلمَا أن كليكما قد كسبني في الأخير
لكي أمارسَ السَّحرَ والعلومَ الملعونة.
الفلسفة كريمةٌ وغامضة،
وكلا القانون والطب يستهويان العقولَ الصغيرة،
إنه السَّحر، فالسَّحر هو الذي استهواني.
105 إذن يا صاحبي الكريمين، ساعداني في هذا الجهد.
وأنا الذي بمنطقي السلس
قد أفحمتُ رجالَ الدين في الكنيسة الألمانية
وجعلتُ زهرة شباب «فيتتبرك»
يتقاطرون إلى محاضراتي مثل الأرواح الجهنمية
110 التي تقاطرت على موزائوس⁽¹⁴⁾ حين جاء إلى الجحيم.
سأكون قرين «آكريبا»⁽¹⁵⁾ في المعرفة،
الذي جعله استحضاره الأرواح شهيراً في أوروبا جميعاً.
قالديس: هذه الكتب، ومعرفتك، وخبرتنا
ستجعل جميع الشعوب ترفعنا إلى مصاف القديسين.
115 مثل الهنود الحمر الذين يطيعون سادتهم الإسبان.
كذلك ستكون جميع الأرواح في كل عنصر
دائماً في خدمتنا نحن الثلاثة.
كالأسود سوف يحموننا عندما نشاء،
مثل الخيالة الألمان حاملي الرماح،
120 أو عمالقة «لابلاند»⁽¹⁶⁾ يخبّون على جانبينا.
قد يظهرون أحياناً كنساء، أو صبايا غير متزوجات

يُظَلَّن جَمَالاً فِي حَوَاجِبِهِنَّ الْمُشْرِيبَةَ
أَكْثَرَ مِمَّا فِي نَهْدِي مَلِيكَةِ الْجَمَالِ الْأَبْيَضِينَ.
مِنَ الْبَنْدُوقِيَّةِ سَوْفَ يَقْطُرُونَ سُنْفَنَ حُمُولَةٍ ضَخْمَةٍ.
وَمِنَ أَمِيرِكَا سِيحْمَلُونَ الْجِزَّةَ الذَّهَبِيَّةَ (17).

125

الَّتِي تَمَلُّ خَزَائِنَ «فِيلِيْب» الْعَجُوزِ (18) كُلِّ عَامٍ،
إِذَا اسْتَطَاعَ فَاوَسْتَسَ الْعَلِيمُ أَنْ يَكُونَ عَازِماً.
فَاوَسْتَسَ: «قَالْدَيْس»، أَنَا عَازِمٌ فِي هَذِهِ
قَدَّرَ عَزْمَكَ أَنْ تَعِيشَ. فَلَا تَظَنَّ هَذَا اعْتِرَاضاً.

130

كُورْنِيلْيُوسَ: الْمَعْجَزَاتُ الَّتِي سَيَجْتَرِحُهَا السَّحْرُ
سَتَجْعَلُكَ تُقْسِمُ إِلَّا تَدْرُسَ شَيْئاً آخَرَ.
مَنْ كَانَ ضَلِيعاً فِي عِلْمِ النُّجُومِ،

135

مَوْهُوباً فِي اللُّغَاتِ، خَبِيراً بِخَيْمِيَاءِ (19) الْمَعَادِنِ،
تَكُونُ لَدَيْهِ جَمِيعُ الْأَسْسِ الَّتِي يَتَطَلَّبُهَا السَّحْرُ.
إِذْنِ لَا تُشَكِّكَ يَا فَاوَسْتَسَ، بِأَنَّكَ سَتَكُونُ شَهِيْرًا.
وَسَيَقْصِدُكَ مِنْ أَجْلِ هَذِهِ الْمَعْرِفَةِ

140

عَدَدٌ أَكْبَرُ مِمَّنْ زَارُوا مَعْبَدَ الْوَحْيِ فِي «دَلْفِي» (20).
تَقُولُ لِي الْأَرْوَاحُ أَنْ بُوَسِعِهَا تَجْفِيفَ الْبَحْرِ
وَجَلَبَ كَنْوَزِ جَمِيعِ السُّفُنِ الْأَجْنِبِيَّةِ الْغَارِقَةِ –
بَلَى، جَمِيعَ الثَّرَوَاتِ الَّتِي خَبَّأَهَا أَجْدَادُنَا.
فِي مَطَامِيرِ أَحْشَاءِ الْأَرْضِ الْمُتْرَاكِبَةِ.

145

فَقُلْ لِي إِذْنِ، يَا فَاوَسْتَسَ، مَا الَّذِي سَوْفَ يُعَوِّزُنَا نَحْنُ الثَّلَاثَةُ؟
فَاوَسْتَسَ: لَا شَيْءَ، يَا كُورْنِيلْيُوسَ. آه، هَذَا مَا يُنْعَشُ رُوحِي!
هَيَّا، أَرْنِي شَيْئاً مِنْ أَعْمَالِ السَّحْرِ،
لِكَيْمَا اسْتَحْضِرَهَا فِي خَمِيلَةٍ مُعْشَبَةٍ
فَتَكُونُ هَذِهِ الْمَبَاهِجِ فِي كَامِلِ حُوزَتِي.

150

قَالْدَيْسَ: إِذْنِ اسْرِعْ إِلَى خَمِيلَةٍ مُنْعَزَلَةٍ،
وَاحْمِلْ مَعَكَ أَعْمَالَ الْحَكِيمِينَ «بِيكُون» وَ«الْبَانُوس» (21)
وَ«الْمَزَامِيرَ الْعَبْرِيَّةَ» وَ«الْعَهْدَ الْجَدِيدَ»،
وَأَيَّ شَيْءٍ آخَرَ مَطْلُوبٍ
سَنُخْبِرُكَ بِهِ قَبْلَ انْتِهَاءِ جُلُوسَتِنَا.

كُورْنِيلْيُوسَ: يَا قَالْدَيْسَ دَعُهُ أَوْلاً يَتَعَلَّمُ كَلِمَاتِ هَذِهِ الْمَعْرِفَةِ

- وبعد ذلك، عندما يُتقن الإجراءات، يستطيع فاوستس أن يُجرب ما تعلم بنفسه.
- 155 **فالدیس:** أولاً سوف أعلمك المبادئ. وبعدها تكون أكمل معرفة مني.
- فاوستس:** إذن تعال وتعيش معي، وبعد الطعام سنفحص كل التفاصيل فيها، لأنني قبل ما أنام سأجرب ما أستطيع فعله.
- 160 هذه الليلة سأستحضر الأرواح، ولو ميت في سبيل ذلك.

[يخرجون]

2-1

[يدخل طالبا علم]

- الطالب الأول: يا ترى ماذا جرى مع فاوستس، الذي كان مُتعوداً على جعل كلياتنا تُردد أصداء "أثبتته هكذا" !
- 5 **[يدخل فاكنر يحمل خمرًا]**
- الطالب الثاني: سنعلم ذلك الآن، ها قد جاء غلامه.
- الطالب الأول: أنت، يا غلام، أين مولاك؟
- فاكنر: الله في عليائه يعلم.
- الطالب الثاني: كيف؟ أنت لا تعلم إذن؟
- فاكنر: بلى، أنا أعلم، لكن ذلك لا يتبع (22).
- 10 الطالب الأول: تَوَلَّ عني، يا غلام! اترك المزاح وقل لنا أين هو.
- فاكنر: هذا لا يتبع بحكم الحجة التي تستند عليها، بوصفك مُتخرجا (23). لذلك، اعترف بالخطأ وكُن مُنتبها.
- الطالب الثاني: إذن أنت لن تُخبرنا؟
- فاكنر: أنت مخدوع، لأنني سأخبرك. ولكن إذا لم تكونا مغفلين، وَجَبَ ألا تسألاني مثل هذا السؤال أبداً، لأن أليس هو (جسد طبيعي) وأليس ذلك (مُتحرّك)؟ إذن، لماذا تسألاني مثل
- 15

20

هذا السؤال؟ ولكن لأنني باردٌ بطبيعتي،
بطيء الغضب، ميال إلى الشّهوات - أقصد
إلى الحبّ - عليك ألا تقترب قدرَ أربعين قدماً
من موقع التنفيذ (24)، ولو أنني لا أشكّ بأنني سوف أراكما معا
على المشنقة في الجلسات القادمة وهكذا وقد انتصرت عليكما،
سوف أقطّب بوجهيكمما تقطيبَ مُتشدّد في الدين (25) أبدأ بالكلام هكذا:
في الحقّ يا إخوتي الأعزّاء، مولاي في الداخل على العشاء
مع «فالديس» و«كورنيليوس» كما قد تُخبركما هذه الخمرة،
لو استطاعت الكلام.

25

يا سادتي. وهكذا فليبارككما الرب، ويحفظكما،
ويرعاكما، يا إخوتي الأعزّاء.

[يخرج فاكنر]

الطالب الأول: آه يا فاوستس.

30

إذن أخشى ما كنت أخشاه دوماً،

بأنك قد وقعت في ذلك العلم اللعين.

الذي اشتهرَ به هذان الاثنان في العالم كله.

الطالب الثاني: لو كان غريباً، غير قريب مني

لجَعَلَنِي الخطرُ على روحه حزيناً.

ولكن تعالَ لنذهب إلى رئيس الجامعة ونخبره.

35

فقد تكون نصيحتُه الوقورة ممّا يُعيدُه إلينا.

الطالب الأول: أخشى ألا يكون ثَمّة ما يُنقذه الآن.

الطالب الثاني: ومع ذلك دَعْنَا نرى ما نستطيعُ فعله.

[يخرجان]

[3-1]

[رَعْدٌ. يدخل إبليس وأربعة شياطين، في شرفة المسرح العليا،
ويدخل فاوستس معهم بهذه الخطبة، يحمل كتاباً، غير شاعر بوجودهم].

فاوستس: الآن وظلال الليل الكئيبة،
تتشوّفُ لرؤية الجوزاء في إطلالتها المُشعّعة،

وهي تَبْرُزُ من قارة القطب الجنوبي نحو السماء،
وتغشي الأجواء بأنفاسها الفاجمة،

5

يا فاوستس، ابدأ تعاويدك،
وجرب إن كانت الشياطين ستطيع أمرك،
بعد أن صليت وقدمت الذبائح إليهم.

[يرسم دائرة]

في داخل هذه الدائرة اسم الرب يهوه،
في جناس تصحيفي للأمام والخلف (26)،

10

مختصر أسماء القديسين الأبرار.
وأرقام لكل ما يتصل بالسموات من أجرام،
وخرائط بأسماء البروج والنجوم السيارة.
هي التي ترغم الأرواح على الظهور.

15

إذن لا تخش يا فاوستس، أن تكون عازما،
وتجرب أقصى ما يستطيع السحر إنجازه.

[رعد]

كوني صفوحة معي، يا آلهة نهر الجحيم! ولتكن

روح يهوه المثلثة قوية! تحية لك يا أرواح

النار والهواء والماء والتراب! يا إبليس، يا أمير

المشرق، يا بعلزبوب، يا ملك جحيم النار،

20

يا ديموگورگون، نتوسل إليكم أن يظهر مفيستوفيليس

ويقوم. لماذا تتريثون؟ وحق يهوه وجههم

والماء المقدس الذي أرشرشه، وحق الصليب الذي أرسمه الآن،

وحق صلواتنا، لينهض مفيستوفيليس نفسه عندما نأمره.

[فاوستس يرش الماء المقدس ويعمل إشارة الصليب]

[يدخل شيطان، مفيستوفيليس، في هيئة تنين]

أمرك أن تعود وتغير هيئتك. أنت من القبح بحيث

25

لا تليق أن تكون في خدمتي.

اذهب، وعُد في هيئة راهب فرانسيسكاني (27) عجوز؛

فتلك الهيئة المقدسة أكثر ما يليق بشيطان.

[يخرج الشيطان مفيستوفيليس]

- أرى ثمّة فائدةً في كلماتي السماوية.
- 30 من ذا الذي لا يريد أن يكون بارعاً في هذا العلم؟
ما أسلَسَ مفيستوفيليس هذا، كلّه طاعة وتواضع!
هكذا هي قوة السّحر وتعاويذي.
- [يدخل مفيستوفيليس في ملابس راهب]
- مفيستوفيليس: والآن يا فاوستس، ما الذي تريدني أن أفعل؟
فاوستس: أمرك أن تقوم على خدمتي على مدى حياتي،
أن تقوم بكل ما يأمر به فاوستس
- 35 سواء أن تجعل القمر يسقط من مداره
أو تجعل البحر المحيط يغمر العالم.
مفيستوفيليس: أنا في خدمة إبليس العظيم
ولا أستطيع أن أتبعك من دون إذنه.
يجب ألا نفعل أكثر ممّا يأمر به.
- 40 فاوستس: ألم يأمرك هو أن تظهر لي؟
مفيستوفيليس: كلاً، لقد جنّت هنا الآن بمحض إرادتي.
فاوستس: ألم تُقَمِّك تعاويذي؟ تكلم.
- مفيستوفيليس: ذلك كان السبب، لكنه يبقى "بالمصادفة".
لأننا عندما نسمع أحداً يهينُ اسم الله،
45 ويتنكّر للكُتُب المقدّسة ولمخلّصه المسيح،
نطيرُ إليه آمليْن أن نكسبَ روحَه المجيدة،
ولن نأتي إلا إذا استخدم من الوسائل
ما يعرّضه لخطر اللعنة الأبدية.
- 50 لذا، فإن أقصر طريق لاستحضار الأرواح
هو الإفراط في التنكّر للألوهة
والصلاة بخشوع لأمير الجحيم.
فاوستس: وذلك ما فعله فاوستس.
وقد تمّ فعله، وهو يؤمن بهذا المبدأ:
- لا يوجد من رئيس سوى رئيس الشياطين وحده،
55 وإليه يكرّس فاوستس نفسه.
كلمة «اللعنة» هذه لا ترعبني،
لأنني أخلط الجحيم بالنعيم.

- لأن روعي مع الفلاسفة القدامى! (28)
ولكن لنترك هذه الصغائر التافهة التي تشغل البشر،
60 وقل لي، ما كُنُهُ إبليس سيّدك هذا؟
مفيسستوفيليس: هو الأمير الأكبر، وقائد جميع الأرواح.
فاوستس: ألم يكن إبليس هذا ملاكا يوما ما؟
مفيسستوفيليس: بلى، يا فاوستس، ومحبوبا شديد القرب من الله.
فاوستس: وكيف صار إذن أميراً للشياطين؟
65 مفيسستوفيليس: آه، بكبرياء الطموح والغطرسة،
التي من أجلها قذفه الله بعيدا عن وجه الجنة.
فاوستس: ومن أنتم الذين تعيشون مع إبليس؟
مفيسستوفيليس: أرواح تعيسة سقطت مع إبليس،
70 تأمرت ضد إلها مع إبليس،
وهي ملعونة إلى الأبد مع إبليس.
فاوستس: وأين مكان لعنتكم؟
مفيسستوفيليس: في الجحيم.
فاوستس: وكيف اتفق إذن أنك خارج الجحيم؟
مفيسستوفيليس: هذا هو الجحيم، فأنا لست خارجه.
75 أتظن أنني، الذي رأيت وجه الله،
وذقتُ المباهج الأبدية في الجنة،
أنني لا أتعذب بعشرة آلاف جهنم
لكوني قد حرمتُ من النعمة الأبدية؟
آه يا فاوستس، دعْ عنكَ هذه الأسئلة التافهة
80 التي تثير الرعب في روعي الذاتية!
فاوستس: كيف! هل أن مفيسستوفيليس العظيم جزوع
لكونه محروما من مسرّات الجنة؟
تعلم إذن من فاوستس وصموده الرجولي
واهزأ بتلك المسرّات التي لن تنالها.
85 اذهب واحمل هذه الأنباء إلى إبليس العظيم:
بما أن فاوستس قد جرّ على نفسه الموت الأبدي
بأفكار متهوّرة ضد ألوهة «يويپيتر»،

- قُلْ إنه يتنازل إليه عن روحه،
لكي يوقر له أربعا وعشرين سنة،
يجعله يعيش فيها في بهجة حسية كاملة
ويضعك في خدمتي أبدا،
لتعطيني أي شيء أطلبه،
وتخبرني عن أي شيء أسأل،
أن تقتل أعدائي وتعين أصدقائي،
وتكون دوما مطيعاً لإرادتي،
- 90
- 95
- اذهب وعُدْ إلى إبليس الجبار،
وقابلني في مكتبي عند منتصف الليل،
ثم أبلغني بقرار مولاك
مفيستوفيليس: سأفعل، يا فاوستس.
[يخرج مفيستوفيليس]
- 100
- فاوستس: لو كان لي من الأرواح قَدْرَ ما يوجد من نجوم،
لأعطيها جميعا إلى مفيستوفيليس.
بعونه سأكون إمبراطورا عظيما في العالم
وأقيم جسرا خلال الهواء الهبوب
لأقطع المحيط مع نَفَر من الرجال.
سوف أجمع بين التلال التي تربط ساحل أفريقيا،
وأجعل تلك البلاد جزءا من إسبانيا،
وكلاهما يرفدان مملكتي.
والامبراطور (29) لن يعيش إلا بإذن مني،
ولا أي ملك في ألمانيا.
الآن وقد نلت ما رغبت فيه،
سأعيش في تأمل هذا العلم
إلى أن يعود مفيستوفيليس ثانية.
- 105
- 110
- [يخرج فاوستس من أسفل المسرح، ويخرج إبليس
والشياطين الآخرون من الشرفة العليا]

[يدخل فاكنر و«روبين» المهرج]

فاكنر: تعال هنا يا وُلْد.

روبين: وُلْد؟ ياللعار لشخصيتي! لعنة الله (30)، وُلْد بوجهك!
رأيت كثيرا من الأولاد لهم لحي، أنا متأكد.

فاكنر: يا سيدهم، ما عندك مداخيل؟ (31)

روبين: بلى، ومخاريج كذلك، كما ترى، سيدي.

5

فاكنر: للأسف، عبد فقير، ولا ما يستر عُري مزاحه!

أعرف أن الجلف عاطل عن العمل، وجائع إلى

حد أنه مستعد لبيع روحه إلى الشيطان مقابل

قطعة كتف لحم غنم حتى ولو كانت بدمها وغير مطبوخة.

10

روبين: ما هكذا، أبدا. أنا أريدها مسلوقة تمام،

مع مطيبات مضافة، إذا كنت سأدفع هذا الثمن الغالي، أقول لك.

فاكنر: يا غلام، هل تريد أن تكون تابعي وتقوم

على خدمتي وأجعل هذه تقول: "أنت يا تلميذي"

روبين: كيف، بالشعر؟

15

فاكنر: لا، بالحرير المطروق (32) وقاتل الحشرات.

روبين: قاتل الحشرات؟ هذا يفيد في قتل الهوام.

إذن يحتمل إذا خدمتك سأمتلئ بالقمل.

فاكنر: وهكذا ستكون، إذا خدمت أو لم تخدم، لأنه

يا غلام إذا لم تلتحق بصحبتني فورا ولسبع سنوات

20

سأقلب جميع القمل فيك إلى شياطين أليفة (33)

وأجعلها تمرقك إربا.

روبين: لا، يا سيدي، وقر على نفسك الجهد،

لأنها أليفة معي كأنها تدفع ثمن طعامها وشرابها،

وأؤكد لك هذا بالقول.

25

فاكنر: [يعرض مالا] طيب يا غلام، واصل المزاح،

وخذ هذه الدراهم الذهب. (34)

روبين: إي، والله، سيدي، وأشكرك، أيضا.

فاكنر: والآن عليك أن تحضر في ظرف ساعة،

عندما تكون وحيثما تكون سيجلبك الشيطان.
روبين: هاك، خذ دراهمك، لا أريدها.

30

[يحاول إعادة النقود]

فاكنر: لا، أبدأ. أنت مُتعاقد جهّز نفسك، لأنني الساعة سأجلب اثنين
من الشياطين ليحملاك من هنا - «بانيو»! «بيلچر»!
روبين: «بيلچر»? لو جاء «بيلچر» إلى هنا فسوف
أقذفه خارجاً. أنا لا أخاف الشيطان.

[يدخل شيطانان]

35

فاكنر: [مخاطباً روبين] كيف الآن، سيدي، هل ستخدمني الآن؟
روبين: بلى، يا فاكنر الطيب. أبعد الشيطان إذن.
فاكنر: يا أرواح، أبعدهوا!

[يخرج الشيطانان]

والآن يا غلام، اتبعني.

40

روبين: سأفعل يا سيدي. ولكن اسمع، مولاي،
هل ستعلمني مهنة استحضر الأرواح هذه؟
فاكنر: بلى يا غلام، سأعلمك كيف تقلب نفسك إلى
كلب، أو قطّة، أو فأرة، أو جُرذ، أو أي شيء.
روبين: كلب، أو قطّة، أو فأرة، أو جُرذ؟ رائع يا فاكنر!
فاكنر: يا جلف، سمّني المعلم فاكنر، وعليك أن تسير
بانتهاء، ولتكن عينك اليمنى على استقامة كعبي
الأيسر، لتكون "كأنك إنما تتبع خطواتنا".
روبين: حسناً، يا سيدي، أضمن لك ذلك.

45

[يخرجان]

1-2

[يدخل فاوستس إلى مكتبه]

فاوستس: والآن يا فاوستس، أيجب أن تُصيبك اللعنة؟
أيمكن أن يأتيك الخلاص؟ (35)
ما الفائدة إذن من التفكير بالله والجنّة؟
بُعداً لهذه الخيالات العقيمة، وايّس!

- 5
 أياًس من الله وثق برئيس الشياطين.
 والآن لا تتراجع، يا فاوستس، وكُنْ عازماً.
 لماذا تتردد؟ آه، ثمة شيء يهمس في أذني:
 تنكر لهذا السحر، وعُدْ إلى الله ثانية!
 لكنه لا يحبك.
- 10
 الإله الذي تخدم هو شهوتك الخاصة،
 حيث تكون محبة رئيس الشياطين.
 له سوف أبني مذبحاً وكنيسة
 وأقدم دماً فاتراً من أطفال حديثي الولادة.
 [يدخل ملكان]
- 15
 ملاك الشر: تقدم، يا فاوستس، في ذلك العلم الشهير.
 ملاك الخير: يا فاوستس الحبيب، اترك ذلك العلم المقيت.
 فاوستس: التوبة، الصلاة، الندم – ما هذه؟
 ملاك الخير: آه، هذه وسائل لتوصلك إلى الجنة.
 ملاك الشر: بل هي أوهام، ثمرة الجنون،
 تُصيب بالخبل من يُكثرون منها.
- 20
 ملاك الخير: يا فاوستس الحبيب، فكّر بالجنة وما في الجنة.
 ملاك الشر: لا، يا فاوستس، فكّر بالجاه والغنى.
 [يخرج الملكان]
- فاوستس: الغنى؟ ها!
 السيادة على متاجر «إيمدن» (36) ستكون لي.
 عندما يقف مفيستوفيليس إلى جانبي؛
- 25
 أي قوة تقدر أن تؤذيني؟ فاوستس، أنت آمن؛
 لا تُبدِ أيّ شكوك. مفيستوفيليس، تعال،
 واجلب لي أخباراً طيبة من إبليس العظيم.
 ألم يحنّ منتصف الليل؟ تعال، يا مفيستوفيليس!
 " تعال، تعال، يا مفيستوفيليس!"
 [يدخل مفيستوفيليس]
- 30
 والآن خبرني بما يقول إبليس مولاك؟
 مفيستوفيليس: يأتي يجب أن أقوم على خدمة فاوستس
 طوال حياته، وهكذا يشتري خدمتي بروحه.

- فاوستس: الآن قد فعل فاوستس ذلك بحضورك.
مفيستوفيليس: ولكن عليك أن توصي بها رسمياً الآن
35 وتكتب وثيقة بالهدية بدمك أنت
لأن تلك الضمانة هي ما يريده إبليس.
لو رفضتها، سأعود إلى الجحيم.
فاوستس: انتظر، يا مفيستوفيليس وخبرني،
40 ما الذي تُفيد رُوحى مولاك؟
مفيستوفيليس: توسّع مملكته.
- فاوستس: ألهذا السبب يُغويننا هكذا؟
مفيستوفيليس: "من المريح للتعساء أن يكون لهم في التعاسة شركاء"
فاوستس: ماذا! أديكم أي آلام، يا من تُعذبون الآخرين؟
مفيستوفيليس: بقدر ما في أرواح البشر الآدمية.
45 ولكن قل لي، يا فاوستس، هل سأكسب روحك؟
وسأكون عبداً لك، وأقوم على خدمتك،
وأعطيك أكثر مما في طاقة عقلك أن يسأل.
فاوستس: بلى، يا مفيستوفيليس، سأعطيه إياها.
مفيستوفيليس: إذن، يا فاوستس، اطعن ذراعك بشجاعة،
50 وقيد روحك حتى ذلك اليوم
الذي فيه يدّعيها إبليس العظيم ملكاً له،
وعندها ستغدو عظيماً مثل إبليس.
فاوستس: [يجرح ذراعاً]
انظر، يا مفيستوفيليس، محبةً فيك
55 جرح فاوستس ذراعاً، وبدمه هو
يضمّن روحه ملكاً لإبليس العظيم.
السيد الأكبر وأمير الليل الأبدي.
انظر كيف يتقاطر هذا الدم من ذراعي،
وليكن ذلك مؤاتياً لرغبتى.
مفيستوفيليس: ولكن يا فاوستس،
60 اكتبه في صيغة عقد هدية.
فاوستس: بلى، هكذا أكتب [يكتب] ولكن، يا مفيستوفيليس،

دمي يتخثر، ولا أستطيع أن أكتب أكثر.
مفيستوفيليس: سأحمل لك ناراً لتُسيِّله في الحال.

[يخرج مفيستوفيليس]

65 **فاوستس:** ما الذي يندّر به توقّف دمي؟
أهو غير راغب في أن أكتب هذه الوثيقة؟
لماذا لا يسيل، لكي أستأنف الكتابة؟

"فاوستس، يمنح روحه إليك" آه، لقد توقّف هنا!
لماذا لا تستمرّ؟ أليست روحك ملكاً لك؟

إن اكتب من جديد، "فاوستس يمنح روحه إليك".
[يدخل مفيستوفيليس حاملاً وعاء نار.]

70 **مفيستوفيليس:** انظر يا فاوستس ها هي النار. ضعها على الجرح.
فاوستس: ها، الآن يبدأ الدم يسيل من جديد.
والآن سأضع نهاية للحال.

[يكتب]

مفيستوفيليس: [جانبا]

ما الذي لن أفعله لكي أكسب روحه؟

فاوستس: "قد أكمل" (37) هذه الوثيقة اكتملت.

75 **وفاوستس قد ورث روحه لإبليس.**

ولكن ما هذه الكتابة على ذراعي؟

"يا إنسان، اهرب" (38) إلى أين يجب أن أهرب؟

لو إلى السماء، فسوف يقذفني إلى الجحيم. -

لقد زاغ البصر مني، لا توجد كتابة هنا.

80 **بلى، أراها بوضوح. حتى هنا مكتوبة.**

"يا إنسان، اهرب!" لكن فاوستس لن يهرب.

مفيستوفيليس: [جانبا] سأجلبُ له ما يبهج عقله.

[يخرج مفيستوفيليس، يدخل شياطين، يقدمون تيجانا

وأردية فاخرة إلى فاوستس، يرقصون، ثم يخرجون،

يدخل مفيستوفيليس]

فاوستس: ما معنى هذا العرض؟ تكلم يا مفيستوفيليس.

مفيستوفيليس: لا شيء يا فاوستس، بل للتسرية عنك

85 **ولجعلك ترى ما يستطيع السّحر فعله.**

فاوستس: ولكن هل أستطيع استحضار مثل هذه الأرواح عندما أريد؟
مفيستوفيليس: نعم يا فاوستس، وأشياء أعظم من هذه.

فاوستس: إذن يا مفيستوفيليس، خذ هذه الوثيقة،

تعهّد بهديةٍ جسديّ وروح -

90

ولكن على شرط أن تُنفذ

جميع العهود والبنود بيننا نحن الاثنين.

مفيستوفيليس: يا فاوستس، أقسمُ بالجحيم وبإبليس

أن أنفذ جميع الوعود بيننا نحن الاثنين.

فاوستس: إذن اسمعني أقرأ هذه، يا مفيستوفيليس.

95

"على هذه الشروط التالية:

أولاً: أن يقدر فاوستس أن يكون روحاً في الشكل والمادة.

ثانياً: أن يكون مفيستوفيليس خادماً له

وأن يتلقّى أوامره.

ثالثاً: أن يعمل مفيستوفيليس له

100

ويجلب له ما يشاء.

رابعاً: أن يبقى في غرفته أو بيته غير مرئي.

وأخيراً عليه أن يظهر أمام جون فاوستس المذكور

في جميع الأوقات في أي شكل أو هيئة يريد،

أنا جون فاوستس، من «قيتبيرك»، دكتور، بهذه الهدايا

105

أقدمُ كلا الجسد والروح إلى إبليس، أمير الشرق وإلى وزيره

مفيستوفيليس، إضافةً إلى ذلك أمنحهما بعد انقضاء

أربع وعشرين سنة، وبقاء الغرضين المذكورين أعلاه

سالمين، كاملَ الصلاحية لأخذ أو نقل جون فاوستس

المذكور، جسداً وروحاً، لحماً ودماً إلى مقامهما حيثما يكون.

110

بإقرارِي، جون فاوستس".

مفيستوفيليس: قلْ يا فاوستس، هل تُسلم هذه كوصيتك؟

فاوستس: [يعطيه الوصية] بلى، خذها، وليعطِكَ

الشیطان خيراً.

مفيستوفيليس: والآن، يا فاوستس، اطلب مني ما تشاء.

115

فاوستس: أولاً: أريد أن أسألك عن الجحيم.

قل لي، أين هو المكان الذي يدعوهُ الناس بالجحيم؟

- مفيسٲوفيليس: ٲحت السماوات.
- فاوستس: بلى؁ وهكذا جميع الأشياء الأخرى.. ولكن أين؟
- مفيسٲوفيليس: في داخل أحشاء هذه العناصر؁
- حيث نُعذب ونبقى إلى الأبد.
- 120 الجحيم لا حدود لها؁ ولا هي مقتصرة على مكان بعينه؁ ولكن الجحيم هي حيث نكون وحيث توجد الجحيم يجب أن نبقى إلى الأبد. وباختصار؁ عندما يتبدد العالم كله ويغدو كل مخلوق مطهرا تغدو كل الأماكن جحيما ممّا هي ليست نعيما. فاوستس: أعتقد أن الجحيم خرافة.
- 125 مفيسٲوفيليس: بلى؁ استمر بهذا الاعتقاد؁ حتى تغيّر الخبرة عقلك. فاوستس: لماذا تعتقد أن فاوستس يجب أن تحل عليه اللعنة؟
- 130 مفيسٲوفيليس: بلى؁ بحكم الضرورة؁ فهذه هي الوثيقة التي بموجبها قد منحتَ روحك لإبليس. فاوستس: بلى؁ والجسد كذلك؁ ولكن ما قيمة ذلك؟ هل تعتقد أن فاوستس من الخطل بحيث يظن أن بعد هذه الحياة ثمة أي ألم؟
- 135 كلا؁ هذه تفاهات؁ ومحض حكايات عجائز. مفيسٲوفيليس: ولكني حالة تثبت النقيض؁ لأنني أخبرك بأنني ملعونٌ وأنا الآن في الجحيم. فاوستس: كلا؁ لو كانت هذه هي الجحيم؁ لرغبتُ أن أكون ملعونا. ما هذا؟ نومٌ؁ أكلٌ؁ سيرٌ؁ وحجاج؟
- 140 ولكن دغ عنك هذا؁ هات لي زوجة؁ أجمل صبيّة في ألمانيا؁ لأنني فاسقٌ وشهواني؁ ولا أستطيع العيش بلا زوجة. مفيسٲوفيليس: حسنا يا فاوستس؁ ستكون لك زوجة. [يجلب امرأة شيطانة]
- فاوستس: ما هذا المنظر؟
- مفيسٲوفيليس: إذن؁ يا فاوستس؁ هل تريد زوجة؟
- 145 فاوستس: هذه عاهرة نارية جدا! لا؁ لا أريد زوجة. مفيسٲوفيليس: ليس الزواج إلا لعبة احتفالية.

فإذا كنت تحبني لا تفكر فيها بعد الآن.

[يخرج شيطان]

سأختار لك أجمل البغايا

وأجلبهن إليك كل صباح عند سريرك.

150

فمن تهواها عيناك ستكون ملك فؤادك.

ولو كانت عفيفة مثل «بنيلوپه» (39)

أو حكيمة حكمة ملكة سبأ، أو جميلة

جمال إبليس الوضء قبل سقوطه.

[يقدم له كتابا]

هاك، خذ هذا الكتاب، وتمعن فيه

155

ترديد هذه السطور يجلب الذهب؛

رسم هذه الدائرة على الأرض

يجلب الرعد والزوابع، والعواصف، والبرق

كرّر هذه بخشوع ثلاث مرات لنفسك

يبرز لك فرسان شاكي السلاح

160

جاهزين لتنفيذ ما تأمر به.

فاوستس: شكرا، يا مفيستوفيليس، على هذا الكتاب الجميل.

سأحافظ عليه كما أحافظ على حياتي.

[يخرجان]

2-2

[يدخل روبن المهرج ومعه كتاب سحر]

[ينادي من خارج المسرح] هيه، «دك» عينك عالخيل هناك (40)

حتى أرجع لك. - عندي واحد من كتب السحر من عند دكتور فاوستس،

والآن راح نعمل حيل ما لها مثيل.

[يدخل دك]

دك: هيه، روبن، لازم ترجع وتمشي الخيل.

5

روبن: أنا أمشي الخيل؟ احتقرها، وإيماني، أنا مشغول بغيرها.

خلّ الخيل تمشي نفسها إذا أعجبها. (يقرأ) A وحدها هي

the,e,h,t,a o, وحدها هي o, اشطب

أورگن گورگن» ابعء عني، أنت يا أمي، يا سانس

- الخيل يا جاهل،
10 **بك:** يَلْعَنُكَ، ما هذا بيدك؟ كتاب؟ أنت لا تقدر
 تقرأ ولا كلمة فيه.
 روبن: هذا ستراه الآن [يرسم دائرة] ابعد عن الدائرة، أقول لك
 وإلا أدفعك إلى مربط الخيول مع اللعنة.
15 **بك:** يا حظي والله، أحسن لك تترك مسخراتك، لأنه
 لو رجع صاحب الخان راح يسحرك، صدقني.
 روبن: صاحبنا يسحرني؟ اسمعني، لو عاد صاحبنا هنا،
 راح ألصق زوج قرون (41) حلوات على رأسه، ما رأيت
 مثلها في حياتك.
20 **بك:** أنت لا تحتاج تعمل هذا، الست عملت هذا. (42)
 روبن: يوجد معنا من خاض بالعميق في بعض الأمور
 مثل بعض الناس، لو عندهم استعداد للكلام.
25 **بك:** يضربك الطاعون، حسبتك ما كنت تتلصص عليها
 طالع نازل للاشيء. ولكن أرجوك قل لي صراحة،
 يا روبن، هل هذا كتاب سحر؟
 روبن: قل لي أي شيء تريدني أعمل، وأنا أعمله.
 لو أردت أن ترقص بالعري، انزع ملابسك،
 وأنا أسحرك في الحال. أو إذا أعجبك تروح إلى
 الحانة معي، سأعطيك خمر أبيض، خمر أحمر، خمرة
 بوردو، خمر مسكي، نبيذ حلو، خمرة بالتوابل
 وأشرب يا بطن، وما راح ندفع ولا فلس واحد.
30 **بك:** جميل! أرجوك فوراً، أنا عطشان مثل كلب.
 روبن: إذن تعال، خَلِينَا نروح.
 [يخرجان]

3-2

[يدخل فاوستس إلى مكتبه ومعه مفيستوفيليس]

فاوستس: عندما أطلع إلى السماوات، أشعر بالندم

وَأَلْعَنَكَ، يَا مَفِيسْتَوْفِيلِيسَ الشَّرِيرَ،

لَأَنَّكَ حَرَمْتَنِي مِنْ تِلْكَ الْمَسْرَّاتِ.

مَفِيسْتَوْفِيلِيسُ: كَانَ ذَلِكَ مِنْ اخْتِيَارِكَ أَنْتَ، يَا فَاوَسْتَسَ، فَاشْكُرْ نَفْسَكَ

5

وَلَكِنْ هَلْ تَظُنُّ أَنَّ السَّمَاءَ شَيْءٌ بِهَذَا الْمَجْدِ؟

أَفِيدُكَ، يَا فَاوَسْتَسَ، أَنَّهُ لَا يَسْتَبْنِصُ هَذَا الْجَمَالَ

الَّذِي يَزِينُكَ أَوْ يَزِينُ أَيَّ إِنْسَانٍ يَعِيشُ عَلَى الْأَرْضِ.

فَاوَسْتَسُ: وَكَيْفَ تُثَبِّتُ ذَلِكَ؟

مَفِيسْتَوْفِيلِيسُ: لَقَدْ خُلِقْتُ لِلْإِنْسَانِ، يَوْمَ كَانَ أَكْثَرَ نِقَاءً.

10

فَاوَسْتَسُ: إِذَا كَانَتْ السَّمَاءُ قَدْ خُلِقَتْ لِلْإِنْسَانِ، فَإِنَّهَا قَدْ خُلِقَتْ لِي.

سَأَتَخَلَّى عَنْ هَذَا السَّحَرِ وَأَتُوبُ.

[يَدْخُلُ الْمَلَكَانَ]

مَلَاكُ الْخَيْرِ: فَاوَسْتَسَ، تَبَّ! فَإِنَّ اللَّهَ سَيَرْحَمُكَ.

مَلَاكُ الشَّرِّ: أَنْتَ رُوحٌ. اللَّهُ لَا يُمْكِنُ أَنْ يَرْحَمُكَ.

فَاوَسْتَسُ: مَنْ الَّذِي يَهْمَسُ فِي أُذُنِي أَنَّنِي رُوحٌ؟

15

فَلَأَكُنْ شَيْطَانًا، مَعَ ذَلِكَ قَدْ يَرْحَمُنِي اللَّهُ.

مَعَ ذَلِكَ، قَدْ يَرْحَمُنِي اللَّهُ إِذَا مَا نَدِمْتُ.

مَلَاكُ الشَّرِّ: بَلَى، لَكِنْ فَاوَسْتَسَ لَنْ يَنْدَمَ أَبَدًا.

[يُخْرِجُ الْمَلَكَانَ]

فَاوَسْتَسُ: قَلْبِي قَدْ تَقَوَّى: لَا يُمْكِنُنِي أَنْ أَنْدَمَ

فَأَنَا لَا أَكَادُ أَذْكَرُ الْخَلَاصَ، أَوْ الْإِيمَانَ، أَوْ الْجَنَّةَ.

20

سَيُوفٌ، سَمُومٌ، مَشَانِقُ وَخَنَاجِرٌ مَسْمُومَةٌ

مَوْضُوعَةٌ أَمَامِي لِأَقْتُلَ نَفْسِي؛

وَقَبْلَ هَذِهِ بَزْمَانٍ كَانَ عَلَيَّ أَنْ أَفْعَلَهَا،

لَوْلَا أَنَّ الْمَتْعَةَ الْجَمِيلَةَ قَهَرَتْ الْيَأْسَ الْعَمِيقَ.

أَلَمْ أَجْعَلِ «هُومِيرُوسَ» الْأَعْمَى يُنْشِدُ لِي

25

عَنْ حُبِّ الْإِسْكَانْدَرِ وَمَوْتِ «أَوِينُونِه»؟ (43)

أَلَمْ أَجْعَلِ الَّذِي بَنَى أَسْوَارَ «طَيْبِه» (44)

بِصَوْتِ شَجِيٍّ مِنْ قِيْثَارَتِهِ الرَّخِيمَةِ

يَعْزِفُ الْمَوْسِيقَى مَعَ تَابِعِي مَفِيسْتَوْفِيلِيسَ؟

لِمَاذَا يَجِبُ أَنْ أَمُوتَ، إِذْنِ، أَوْ أَنْحَدِرَ إِلَى الْيَأْسِ؟

أَنَا مَصْمَمٌ، فَاوَسْتَسَ لَنْ يَنْدَمَ.

30

- تعال، يا مفيستوفيليس، فانستأنف الحجاج ونفكر في الأفلاك الإلهية.
- تكلم. هل توجد مدارات كثيرة فوق القمر؟
- أليست جميع الأجرام السماوية جرماً واحداً، مثل مادة هذه الأرض المركزية؟
- 35 مفيستوفيليس: مثل العناصر، هي السماوات بدءاً من القمر حتى السماوات العُلى، (45) متداخلة في مدارات بعضها، وتدور مع بعضها حول محور واحد
- 40 الذي نهايته تدعى قطب العالم الأوسع وليست أسماء زحل، والمريخ، أو المشتري أسماءً مُتخيلة، بل هي كواكب سيارة.
- فاوستس: ولكن هل لها جميعها حركة واحدة (في قياس المكان والزمان)؟
- مفيستوفيليس: جميعها تتحرك من الشرق إلى الغرب في أربع وعشرين ساعة على قُطبي العالم، لكنّها تختلف في حركاتها عند قُطبي دائرة البروج.
- 45 فاوستس: هذه المسائل البسيطة يستطيع فاكنر أن يقرّها. أدي مفيستوفيليس خبرة أعظم؟ من الذي لا يعرف الحركة المزدوجة للكواكب؟
- 50 بأن الأولى تتم في يوم طبيعي والثانية هكذا: زحل في ثلاثين سنة، المشتري في اثنتي عشرة، المريخ في أربع، الشمس، الزهرة وعطارد في سنة، القمر في ثمانية وعشرين يوماً.
- هذه معلومات أولية. ولكن قل لي، هل لكل مدار مجالٌ أو "تأثيرٌ ملائكي؟"
- 55 مفيستوفيليس: بلى. فاوستس: كم يوجد من السماوات أو المدارات. مفيستوفيليس: تسعة: الكواكب السبعة، القبة السماوية والسماوات العُلى.
- فاوستس: ولكن ألا يوجد "مدارٌ ناري ومدارٌ بلوري؟"
- 60 مفيستوفيليس: كلا، يا فاوستس، هذه خرافات محض. فاوستس: فسّر لي إذن هذه المسألة: لماذا لا تحدث

التحامات الأجرام السماوية، أو تقابلها،
أو تختلف أوجه القمر أو الخسوفات جميعها في وقت واحد،
لكنها في بعض السنين تكثر وفي بعضها تقل؟
مفيستوفيليس: " بسبب حركتها غير المتساوية بالنسبة لكل ".
65 فاوستس: حسنا، أجبتني ، والآن أخبرني من الذي عمل العالم؟
مفيستوفيليس: لن أفعل.

فاوستس: عزيزي مفيستوفيليس، خبرني.
مفيستوفيليس: لا تلح عليّ، يا فاوستس.
70 فاوستس: يا لئيم، ألم تتعهد لي أن تخبرني بكل شيء؟
مفيستوفيليس: بلى، إذا لم يكن ضدّ مملكتنا.
هذه ضدّها، أنت ملعون، فكر بالجحيم.
فاوستس: فكر يا فاوستس بالله، الذي خلق العالم.
مفيستوفيليس: تذكر هذه.

[يخرج مفيستوفيليس]
فاوستس: بلى، اذهب، أيها الروح الملعون، إلى الجحيم القبيح!
75 إنك أنت الذي لعنت روح فاوستس المكروب.
هل فات الأوان؟

[يدخل الملكان]
ملاك الشر: فات الأوان.
ملاك الخير: لم يفت أبدا، لو يندم فاوستس.
ملاك الشر: لو تندم، ستمزقك الشياطين إربا.
80 ملاك الخير: اندم، وهي لن تخذش جلدك.

[يخرج الملكان]
فاوستس: يا مسيح، يا مخلصي، يا مخلصي،
عونك لإنقاذ روح فاوستس المكروب.
[يدخل إبليس ورئيس الشياطين ومفيستوفيليس]
إبليس: المسيح لا يمكن أن ينقذ روحك، لأنه عادل.
لا يوجد سواي من له مصلحة بروحك.
85 فاوستس: آه، من أنت يا من تبدو بهذه الفظاعة؟
إبليس: أنا إبليس،

- وهذا هو رفيقي أمير الجحيم.
- فاوستس: اه، يا فاوستس، لقد جاء ليذهبا بروحك!
رئيس الشياطين: لقد جننا لنُخبرك بأنك تؤذينا.
90 إبليس: أنت تستجير بالمسيح خلافا لوعدك.
رئيس الشياطين: أنت يجب ألا تفكر بالله.
إبليس: فكر بالشيطان.
رئيس الشياطين: وبأمه كذلك.
فاوستس: ولن يفعل فاوستس غير ذلك بعد الآن. معذرة
95 عن هذه، وفاوستس يتعهد بالأ ينظر إلى السماء بعد.
إبليس: وهكذا تظهر نفسك خادما مطيعا، وسوف
نُجزل مكافأتك لقاء ذلك.
رئيس الشياطين: يا فاوستس، لقد جننا من الجحيم شخصيا لنقدم لك
بعض التسلية. اجلس وسوف تشاهد
100 الخطايا السبع المميتة تظهر أمامك بصورتها الأصلية.
فاوستس: سيكون ذلك المشهد مُبهجا لي مثلما كان الفردوس
لآدم في أول أيام خلقه.
إبليس: لا تتحدث عن الفردوس أو الخليقة، ولكن راقب العرض.
اذهب يا مفيستوفيليس وأدخلهم إلينا.
[يجلس فاوستس ومفيستوفيليس يُدخل الخطايا.
تدخل الخطايا السبع المميتة]
105 رئيس الشياطين: والآن يا فاوستس. اسألهم عن أسمائهم وميولهم.
فاوستس: سأفعل في الحال – من أنت، الأول؟
الكبرياء: أنا الكبرياء أنا أنف أن يكون لي أيّ والدين، أنا
أشبه برغوثة «أوقيد» (46): أستطيع أن أدلف إلى كل
زاوية من جسم المرأة. أحيانا مثل الشعر المستعار
110 أستقرّ على جبينها، أو مثل قلادة أحيط بعنقها
وأحيانا مثل مروحة ريش أقبّلها، ثم أتحوّل إلى
بُرْدَة مطرّزة، أفعل ما أشاء. ولكن ياللعار،
ما هذه الرائحة هنا، لن أنطق بكلمة أخرى لقاء
فدية ملك حتى تُعطر الأرض وتُفرش بقماش الستائر.
115 فاوستس: أنت وغدّ مُتكبر فعلا - ما أنت، الثاني؟

الطمع: أنا الطمع، وُلِدْتُ من بَخِيلَةٍ عجوز
في كيس جلد،

ولو قَدِرْتُ أن أنالَ رَغْبَتِي الآن، لَانْقَلَبْتُ هذه الدار،
وأنتَ والجميع إلى ذهب، لكي أحبسكم جميعاً
آمنين في خزانتي، آه يا ذهبي الحبيب!

120

فاوستس: ومن أنت، أيها الثالث؟

الحسد: أنا الحسد، وُلِدْتُ من كَنَاسِ مَداخِنِ وَأُمَّ مَحَارَةٍ.

لا أستطيع القراءة، لذا أتمنى أن تُحرق جميع الكتب.

يصيبني الهزال عندما أرى الآخرين يأكلون. آه،

125

لو تنزل مجاعة بالعالم أجمع فيموت الجميع وأبقى الحي الوحيد.

عندها ستري كم سأغدو بديناً. ولكن يجب

أن تجلس وأبقى أنا واقفاً؟ اجلس، عليك اللعنة.

فاوستس: اخرج، أيها التعيس الحاسد. ولكن ما أنت أيها الرابع؟

الغضب: أنا الغضب. لم يكن لي أب ولا أم. فقد قفرتُ خارجاً

130

من فَمِ أَسَدٍ حينما لم أكن قد بلغت ساعة من العمر، ومنذئذ

صرتُ أذرعُ العالم طويلاً وعرضاً بهذين السيفين جارحاً

نفسي عندما لا أجدُ من أحاربه بهما. فقد وُلِدْتُ في الجحيم،

وانتظروها، لأن أحدكم سيكون والدي.

فاوستس: وما أنت، أيها الخامس؟

135

الشره: أنا الشره. آباي ماتوا جميعاً، ولم يتركوا لي لعنةً

سوى قليل مال وهزيل معاش لا يكفي لشراء ثلاثين

وجبة طعام يومياً وعشرة أقداح شراب – شيء ضئيل لا يسدُّ

حاجة الطبيعة، أنا من سلالة ملكية. والدي كان شريحة لحم فخذ،

وأمي كانت برميل خمرة حمراء. وكان أجدادي هؤلاء:

140

بيتر سمك مخلل (47) ومارتن لحم الخريف، ولكن جدتي، آه،

كانت سيدة عجوزاً نبيلة، وكان اسمها مارجوري

بيرة آذار، والآن، يا فاوستس، لقد سمعت بجميع أسلافي،

فهل ستدعوني للعشاء؟

فاوستس: أبداً.

145

الشره: إذن ليخنقك الشيطان!

فاوستس: لتختنق ياشره! ما أنت، أيها السادس؟

الكسل: أهلاً – أهلاً. أنا الكسل، لقد ولدتُ على ضفة مشمسة
مرحبا – أهلاً. لن أنطق بكلمة أخرى لقاء فدية الملك.
فاوستس: ومن أنتِ يا سيدة الوقاحة، السابعة، والأخيرة؟
الفسق: من، أنا، يا سيدي؟ أنا واحدة تحب طول إصبع من اللحم الحي (48) 150
أكثر من ذراع من السمك المقلي، والحرف الأول من اسمي
يبدأ بالفسق.

إبليس: أبعثوا، إلى الجحيم، اخرجوا! تقدّم يا زامر! (49)

[تخرج الخطايا السبع]

فاوستس: آه، كم يُبهج رُوحِي هذا المشهد!

155

إبليس: ولكن يا فاوستس، في الجحيم جميع أنواع البهجة.
فاوستس: آه، لو قدِرتُ أن أرى الجحيم وأعود منها سالماً من جديد
كم سعيداً سوف أكون!

إبليس: فاوستس، سوف تراها. عند منتصف الليل سأرسل في طلبك.

[يقدم كتاباً] في هذه الأثناء، تطلّع في هذا الكتاب، وتمعن فيه جيّداً،

160

وسوف تُحيل نفسك إلى أي شكل تريد.

فاوستس: [يأخذ الكتاب] شكراً يا إبليس القوي. سأحتفظ

بهذا كما أحتفظ بحياتي.

إبليس: والآن يا فاوستس، وداعاً.

الجوقة: يا إبليس العظيم. تعال، يا مفيستوفيليس.

[يخرجون من أبواب شتى]

[يدخل الجوقة]

الجوقة: فاوستس ذو المعارف،

ليكتشف أسرار الأفلاك

المنقوشة في كتاب «يويپتر» في عليائه،

صعد ليتسلّق قمة «أوليمبوس»، (50)

جالسا في عربة تتوهج اشتعالاً

تجرّها قوة تنانين يُثقل النيرُ أعناقها،

فيرى الغيوم والكواكب والنجوم،

والمدارات والأقاليم وأقسام السماء الأربعة،

- 10 من الحلقة المضيئة للقمر بذوَابتيه حتى ارتفاع "المحرّك الأول" (51) وإذ يدور في هذا المجال في النطاق المقعّر للقُطب، انزلقت تنانينه بسرعة من الشرق إلى الغرب وفي ثمانية أيام أعادوه إلى حيث ابتدأ. ولم يلبث طويلا في داره الهادئ
- 15 ليريح عظامه بعد جُهد المرهق، حتى استدعته للخروج من جديد مغامرات جديدة وعندها امتطى ظهر تئين، طار بجناحيه يشقُّ أجواز الفضاء، فقد ذهب الآن ليختبر خريطة الكون. التي تقيس سواحل الأرض وممالكها وأظن أنه سيصل أولا إلى روما ليرى البابا ويستطلع شكل بلاطه ويحضر جانبا من احتفالات القديس بطرس التي يقيمونها في هذا اليوم الجليل.
- 20
- 25

[يخرج]

1 – 3

[يدخل فاوستس ومفيستوفيليس]

- 5 فاوستس: الآن، يا صديقي الطيب مفيستوفيليس، وقد عبرنا مباحج مدينة «ترير» (52) الشامخة، وطوفنا بذرى الجبال الشاهقة، المحاطة بأسوار الصوان المطوقة بالخنادق العميقة لا ينال منها أي أمير غاصب: وبعد باريس، بمحاذاة مملكة فرنسا، رأينا نهر «مين» يصب في «الراين»

- بضفافه المطرزة بعرائش الكروم.
وبعدنا صعدنا إلى «نابولي» وريف «كامبانيا» الخصيب،
10 بأبنيته الجميلة البهيجة للنظر،
وشوارعه المستقيمة امتدادا، مبلطة بأجمل القرميد.
هناك رأينا الضريح المذهب، تذكر «مارو» (53) العليم،
والنفق الذي فتحه بطول ميل إنكليزي
15 خلال جبل صخري في بحر ليلة واحدة.
ومن هناك إلى البندقية و«بادوا» والشرق،
حيث يقوم في واحدة منها معبد، (54) مهيب
يناطح النجوم بذروته المشرّبة،
حواشيه مطرزة بحجارة مختلف ألوانها،
وسقفه شاهق بترصيعات من ذهب.
20 إلى مثل هذا قد قضى فوستس وقته.
ولكن قل لي الآن، أي مكان استراحة هذا؟
هل قمت، كما أمرتك أولا،
باقتيادي إلى داخل أسوار روما؟
مفيستوفيليس: لقد فعلت، يا عزيزي فوستس، والدليل على ذلك
25 أن هذا هو قصر البابا المنيف؛
ولأننا لسنا ضيوفا عاديين
فقد اخترت، مجلسه الخاص لغرضنا.
فوستس: أمل من قداسته أن يرحب بنا.
مفيستوفيليس: لا أهمية لذلك، لأننا سنتجراً على طعامه الشهّي.
30 ولكن، يا عزيزي فوستس، لكي تستوعب
ما تحتويه روما لمتعة عينيك،
اعلم أن هذه المدينة تقوم على سبعة تلال
تدعم الأسس التي تقوم عليها تلك المدينة.
وفي منتصفها تماما يجري نهر «التبير»
35 بضفاف متعرجة تقسم المدينة إلى نصفين،
يمتد فوقهما جسران مهيبان،
يُتّيحان عبورا آمنا لكل من جانبي روما.
فوق الجسر المسمى «بونته أنجيلو» (55)

- تقوم قلعةً شديدة الصمود
 40 حيث سترى مخازن من أنواع السلاح
 مثل المدافع المزدوجة، المصبوبة من البرونز،
 تساوي في عددها الأيام التي تحتويها
 دورة سنة كاملة –
- إلى جانب البوابات والمسلات (56) الشاهقة
 45 التي حملها يوليوس قيصر من أفريقيا.
 فاوستس: والآن أقسم بممالك الحكم الجهنمي،
 وببهرى «ستيكس» و«آشرون» (57) والبحيرة النارية
 ونهر «فليكثون» أزلي اللهيب
 أني أتلف لرؤية الأنصاب
 50 ومواقع النور في روما الوهاجة.
 إذن، هيا بنا، لنذهب!
 مفيستوفيليس: بل انتظر، يا عزيزي فاوستس، أدري أنك تريد رؤية البابا
 وتحضر جانبا من احتفالات القديس بطرس،
 التي في هذا اليوم بجلال مهيب
 55 يُحتفل به على امتداد روما وإيطاليا
 تكريما لانتصار (58) البابا الباهر.
 فاوستس: مفيستوفيليس الحبيب، أنت تبهجني.
 أثناء ما أنا هنا على الأرض، دَعْنِي أُعْبُ
 من كل ما يُبهج قلبَ الإنسان.
 60 وسنوات حرّيتي الأربع والعشرون
 سوف أقضيها في سرور ومرح،
 ليغدو اسم فاوستس، طالما بقي هذا الكيان الوهاج (59) قائما،
 موضع إعجاب في أرجاء المعمورة.
 مفيستوفيليس: أحسنتَ قولاً، يا فاوستس، إذن، تعال، وقف إلى جانبي
 65 وسوف تراهم قادمين في الحال.
 فاوستس: بل تمهل، عزيزي مفيستوفيليس،
 واعطني ما طلبتُ، وبعدها أسيرُ معك.
 أنت تعلم أننا في غضون ثمانية أيام
 رأينا وجه السماء، والأرض، والجحيم.

70

فقد حَلَقَتْ تَنَانِينُنَا عَالِيَا فِي الْفَضَاءِ
حَتَّى، إِذَا مَا نَظَرْنَا إِلَى تَحْتِ، بَدَتْ الْأَرْضُ لِي
لَيْسَتْ أَكْبَرَ مِنْ يَدِي فِي الْحَجْمِ.

75

مِنْ هُنَاكَ أَبْصَرْنَا مَمَالِكَ الْعَالَمِ
وَمَا يُمَكِّنُ أَنْ يُبْهَجَ عَيْنِي رَأْيُهُ هُنَاكَ.
إِنَّ فِي هَذَا الْمَشْهَدِ دَعْنِي أَكُونَ الْمُمَثَّلَ،
لِكِي يَشْهَدُ هَذَا الْبَابَا الْفَخُورَ مَقْدِرَةَ فَاوَسْتَسِ.

80

مَفِيسْتَوْفِيلِيسِ: فَلْيَكُنْ كَذَلِكَ، يَا فَاوَسْتَسِ الْعَزِيزِ. وَلَكِنْ ابْقَ أَوْلَا
لَتَرَى الْاِحْتِفَالَاتِ عِنْدَمَا تَمُرُّ مِنْ هُنَا،
ثُمَّ اْعْمَلْ أَفْضَلَ مَا يُرْضِي عَقْلَكَ،
بِتَسْخِيرِ مَعْرِفَتِكَ، لِإِغْضَابِ الْبَابَا
أَوْ تَخْرِيبِ بَهْجَةِ هَذَا الْاِحْتِفَالِ –
لِتَجْعَلَ رُهْبَانَهُ وَقَسَاوَسْتَهُ يَبْدُونَ كَالْقُرُودِ
وَيُشِيرُونَ كَالْمَهْرَجِينَ إِلَى تَاجِهِ الْمُثَلَّثِ،

85

وَيَفْرَطُونَ قِلَانِدَ التَّسْبِيحِ مِنْ حَوْلِ رُؤُوسِهِمْ
أَوْ تَلْصِقَ قُرُونًا ضَخْمَةً عَلَى رُؤُوسِ الْكِرَادِلَةِ
أَوْ أَيِّ مَسْخَرَةٍ قَدْ تَسْتَطِيعُ الْإِتْيَانَ بِهَا،
وَلَسَوْفَ أَنْفِذُهَا، يَا فَاوَسْتَسِ، انْظُرْ، قَدْ وَصَلُوا.
سَيَجْعَلُكَ هَذَا الْيَوْمَ مَبْعَثَ إِعْجَابٍ فِي رُومَا.

[يَقْفَانِ جَانِبًا، يَدْخُلُ كَرْدِينَالُ فَرَنْسَا وَكَرْدِينَالُ بَادُوا وَمَطْرَانُ لُورِينِ
وَمَطْرَانُ رَايْمَسِ، بَعْضُهُمْ يَحْمِلُ الصُّوُلْجَانَ وَبَعْضُهُمْ يَحْمِلُونَ
الرَّايَاتِ. وَالرُّهْبَانَ وَالْقَسَاوَسَةَ يَرْتَلُونَ تَرَائِمَ الْمَسِيرَةِ
ثُمَّ يَأْتِي الْبَابَا «أَدْرِيَانُ» وَ«رِيمُونْدُ» مَلِكُ هُنْكَارِيَا،
يَتَّبِعُهُمْ «بَرُونُو» الْبَابَا الْغَرِيمُ مَصْفَدًا بِالْأَغْلَالِ.
يُحْمَلُ إِلَى الدَّخْلِ الْعَرْشِ الْبَابُويِ مَعَ تَاجِ «بَرُونُو»].
الْبَابَا: أَنْزِلُوا مَسْنَدَ قَدَمِنَا.

90

رِيمُونْدُ: ارْكَعْ يَا «بَرُونُو» السَّكْسُونِي،
عِنْدَمَا يَصْعَدُ فَوْقَ ظَهْرِكَ قَدَاسَتَهُ نَحْوِ
كُرْسِيِّ الْقَدَّيسِ بَطْرَسِ (60) وَالْهَيْبَةِ الْبَابُويَةِ.
بَرُونُو: يَا إِبْلِيسَ الْمَتَكَبِّرَ، تِلْكَ الْهَيْبَةُ تَعُودُ لِي!
لَكِنِّي هَكَذَا أَرْكَعُ لِبَطْرَسِ، وَلَيْسَ لَكَ.

[يركع أمام العرش]

البابا: لي ولبطرس عليك أن تنبطح مُتذللاً
وتخضع أمام العظمة البابوية.

95

انفخوا في الأبواق، إذن، فهكذا وريث القديس بطرس
من على ظهر «برونو» يرتقي إلى كرسي القديس بطرس.
[هبة هُتاف وهو يرتقي]

هكذا، مثلما تزحف الآلهة بأقدام من الصوف (61)

قبل أن يعاقبوا البشر بأيدي من حديد،

100

سوف ينهض انتقامنا النائم

ويضربُ بالموت مغامرتك البغيضة.

يا سادتي كاردينال فرنسا، وبادوا،

أذهباً إلى مجلسنا الكنسي المقدس

واقراً من بين الإرادات القانونية

105

ما الذي في المجمع المقدس في «ترينيت» (62)

قد أصدر المحفل المقدس من إرادات على من

يتسّم الحكومة البابوية

من دون انتخاب أو موافقة حقيقية.

انطلقا، وعودا إلينا بالجواب بسرعة.

110

الكاردينال الأول: ها نحن ذاهبان، يا مولاي.

[يخرج الكاردينالان]

البابا: مولاي ريموند—

[البابا «أدريان» و«ريموند» يتحدثان على انفراد]

فاوستس: [جانبا] أسرع، يا مفيستوفيليس الطيب.

اتبع هذين الكاردينالين إلى المجلس الكنسي،

وأثناء ما يقلبان تلك الكتب الخرافية

115

أضربهما بالكسل ونعاس التعطل،

واجعلهما ينامان عميقاً لكي يظهر في شكليهما

أنت وأنا ونُحاور هذا البابا

هذا المعارض المُتكبر للإمبراطور،

وعلى الرغم من كل قداسته

- 120 نُعِيدُ «برونو» هذا إلى حُرِّيَّته ونحمله إلى الدول الألمانية. مفيستوفيليس: سأذهب، يا فاوستس. فاوستس: نفذها بسرعة. سيلعن البابا مجيء فاوستس إلى روما. [يخرج فاوستس ومفيستوفيليس]
- 125 برونو: أيها البابا «آديان»، دَعْنِي أمارس حقي القانوني. لقد اختارني الإمبراطور. البابا: سوف نُزِيح الإمبراطور بسبب ذلك الفعل ونلعن الناس الذين يَخضعون له. كلاهما، هو وأنت، ستَقعان في التحريم الكنسي وتمنعان من الامتيازات الكنسية ومن مُجتمع المُقدَّسين كلَّهم: فهو قد تمادى متكبِّرا في سُلطته، رافعا رأسه عاليا فوق الغيوم، ومثل بُرج كنيسة (63) يُطلُّ مُتعاليا على أقرانه. ولكننا سنهدمُ تعالیه الوقح. ومثلما قام سلفنا البابا «الكساندر» بالدَّعسِ على رَقبة «فريدريك» (64) الألماني مُضيفا هذه الجملة الذهبية إلى مديحنا، «بأن وريثة «بيتر» يجب أن يدعسوا على الأباطرة يسيرون على ظهر الأفعى المريع، ويطأون على الأسد والتنين، ويستخفون دون خوف بالوحش القاتل»، (65) كذلك نحن سنطفيء ذلك المنشق المُتكبِّر وبالسلطة الرسولية نُزيحه عن حكومته الملكية. برونو: البابا «يوليوس» أقسم أمام الأمير «زيكزmond» أن يكون هو وبابوات روما اللاحقين في طاعة الأباطرة بوصفهم رؤساءهم الشرعيين. البابا: البابا «يوليوس» أساء استعمال حقوق الكنيسة

150

لذا فلا يمكن قبول أي واحدة من إراداته .
أليست كل قوة في الأرض قد منحت لنا؟
لذلك، حتى لو أردنا، لا يمكن أن نخطئ.

انظر إلى هذا الحزام الفضي، حيث تتعلق سبعة مفاتيح ذهب مثبتة بأختام سبعة
155 إشارة إلى سلطتنا المُسَبَّعة من السماء،

لنربط أو نحلّ، نَسْجُنْ أو نلعن، أو نحكم،
نكسر الختم أو نختم، (66) أو أي شيء يروق لنا
لذا فهو وأنت والعالم جميعا يجب أن يركع،
وإلا فلتكونوا واثقين من لعنتنا الفظيعة
التي ستنزل عليكم ثقيلة مثل آلام الجحيم.

160

[يدخل فاوستس ومفيستوفيليس في مُسوح الكرادلة]

مفيستوفيليس: [جانبا إلى فاوستس]
قُلْ لي يا فاوستس، ألسنا في مظهر مناسب؟
فاوستس: [جانبا إلى مفيستوفيليس].

بلى، يا مفيستوفيليس، مثل هذين الكردينالين
لم يسبق قط أن خدما قداسة بابا كما سنفعل.
ولكن بينما ينامان في المجلس الكنسي، (67)
دَعْنَا نحيي نيافته الأبوية.

165

ريموند: [إلى البابا]

انظر يا مولاي، لقد عاد الكردينالان.
البابا: مرحبا بالكردينالين الوقورين، أجيبا حالا:
ما الذي قضى به مجلسنا المقدس هناك

170

بخصوص «برونو» والإمبراطور
في إخراج مؤامرتيها الأخيرة
ضد هيبتنا والعظمة البابوية؟

فاوستس: يا أقدس راع للكنيسة الكاثوليكية الرومية،
بإجماع الآراء في المجلس الكنسي،
من القسُس والأساقفة، صدر القرار الآتي:

175

أن يعتبر «برونو» والإمبراطور الجرمانى

من المارقين والمنشقين الوقيحين (68)
العابثين بسلام الكنيسة المتكبرين.

وإذا كان «برونو» ذاك بمحض إرادته،
من دون إكراه من جانب الأمراء الجرمان
قد قصد أن يعتمر بالتاج المثلث

180

وأن يعتلي كرسي القديس بطرس بعد وفاتك
فإن الإرادات القانونية قد قرّرت الآتي:

أن يُبادرَ بالحكم عليه بالهرطقة (69)

وأن يُحرق حتى الموت فوق كومة من الحطب.
البابا: هذا يكفي. هاكم، خذوه تحت مسؤوليتكم،

185

واحملوه مباشرة إلى «بونته أنجيلو»
وشددوا عليه الحبس في أقوى برج.

وغدا، عندما نعقد مجلسنا

مع كامل هيئة الكرادلة الوقورين

190

سوف نقرّر في أمر حياته أو موته.

هاك، خذ تاجه المثلث معك

وضعه في خزانة الكنيسة.

[يُسَلَّم التاج البابوي إلى فاوستس ومفيستوفيليس]

أسرعوا ثانية، عزيزي الكاردينالان الطيبان

وخذوا بركاتنا الرسولية.

195

مفيستوفيليس: [جانبا] ها، ها، ما سبق أن بورك شيطانٌ هكذا قط!

فاوستس: [جانبا] تحرّك، عزيزي مفيستوفيليس، أسرع.

سينزل البلاء على رأس الكاردينالين بسبب هذه حالا..

[يخرج فاوستس ومفيستوفيليس مع «برونو»]

البابا: اذهب فوراً وأعدّاً وليمةً هنا،

لكي نكرم عيد القديس بطرس

200

ومع مولانا «ريموند» ملك هنكاليا،

سنشربُ نخب انتصارنا الأخير السعيد.

[يخرجون]

[صوتٌ بوق في أثناء إدخال الوليمة. تُصَفّ المقاعد للوليمة. يخرج الخدم، ثم يدخل فاوستس ومفيستوفيليس في شكلهما الأول]

مفيستوفيليس: والآن، يا فاوستس، تعال وحضّر نفسك لشيء من المرح.

الكاردينالان النائمان على وشك

النيل من «برونو» الذي أفلت من هنا

وعلى ظهر جواد خفيف الخطو، بسرعة الفكر،

يطير عبر جبال الألب إلى جرمانيا الخصيبة،

لتحية الإمبراطور الحزين.

فاوستس: سوف يلعنهما البابا اليوم بسبب كسلهما

الذي ذهب بوديعتهما «برونو» وبتاجه معا.

ولكن الآن، لكي يسرّي فاوستس عن ذهنه

ويجد في حماقتهما بعض التسلية،

فيا عزيزي مفيستوفيليس، اسحرني هنا

لكي أسير ولا يراني الجميع.

وأعمل ما أريد ولا يراني أحد.

مفيستوفيليس: سيكون لك ذلك، يا فاوستس، إذن اركع حالا،

[يركع فاوستس]

أثناء ما أضع يدي على رأسك

وأسحرك بهذه العصا السحرية.

[يعطيه نطاقا سحريا]

أولاً تمنطق بهذا الحزام، ثم كن

غير مرئي لجميع من هنا.

الكواكب السبعة، (70) والهواء الكئيب،

الجحيم والشعر المشعب لأرواح الانتقام

ونار «بلوتو» (71) الزرقاء، وشجرة «هيكاته»

برقى سحرية تحيط بك

بحيث لا ترى عين جسدك.

[ينهض فاوستس]

5

10

15

20

- وهكذا الآن، يا فوستس، لجميع أصحاب القداسة،
25 افعل ما تريد، فلن يكشفك أحد
فاوستس: شكرا، يا مفيستوفيليس، والآن، أيها القساوسة، خذوا الحذر
لئلا يُدمي فوستس رؤوسكم الحليقة.
مفيستوفيليس: فوستس، كفاية. ها قد جاء الكاردينالان.
[يدخل البابا وجميع الذوات: ريموند ملك هنكارييا،
رئيس أساقفة «رايمس»، رُهبان وخدم.
يدخل كاردينال فرنسا وبادوا ومعهما كتاب]
- البابا:** مرحبا يا سادتي الكرادلة، تفضلا بالجلوس،
مولاي «ريموند» تفضل بالجلوس
[يجلسون]
- 30** احضروا يا رهبان
وتأكدوا أن يكون كل شيء جاهزاً،
كأفضل ما يليق بهذا الاحتفال المهيب.
الكاردينال الأول: أولاً، لو سمحتم نيافتكم المقدسة
أن تنظروا في حكم المجلس الموقر
35 بخصوص «برونو» والإمبراطور؟
البابا: ما الداعي لهذا السؤال؟ ألم أخبركما
أننا سنعقد في الغد مَجْمَعَنَا الكَنَسِي
وهناك نقرر عقوبته؟
لقد حملتم لنا الجواب قبل قليل، وصدر الحكم
بأن «برونو» والإمبراطور اللعين
40 قد أصدر عليهما المجلس المقدس لعنة لكونهما
أبقيين (72) بغضين ومُنشقين وضيعين.
إذن لماذا تريداني أن أنظر في ذلك الكتاب؟
الكاردينال الأول: نيافتكم مُخطئ، فلم نُحملونا مثل هذه المسؤولية.
45 ريموند: لا تنكر ذلك، نحن جميعا شهود
بأن «برونو» هذا قد سلّم اليكما قبل قليل
مع تاجه المثلث الثمين ليُحفظ
ويودع في خزانة الكنيسة.

الكاردينالان معا: نُقسم بالقدّيس بولس، أننا لم نرَهُما.
البابا: وحقّ بطرس، سوف تموتان
ما لم تجلباهما إلينا فوراً.-

50

احملوهما إلى السِجن، أثقلوا أطرافهما بالأصفاد!-
يا أساقفة زائفين، لهذه الخيانة الكريهة
لِتُلْعَنَ رُوحُكُمَا بعذاب الجحيم.

[يُخرج الخدم مع الكاردينالين]

فاوستس: [جانبا] وهكذا هما في أمان . والآن، يا فاوستس، إلى المأدبة. 55
لم يَعْرِف البابا قَطُّ ضيفا بمثل هذا المراح.

البابا: مولاي رئيس أساقفة رايمس، تفضّل بالجلوس معنا.
رئيس الأساقفة: [يجلس] أشكرُ قداستكم.

فاوستس: اضرب بالخمس! يَخْنُقُك الشيطان لو وَفَّرَتَ شيئاً.
البابا: من الذي تكلم؟ يا رُهبان، تطلّعوا حولكم.

60

[يُحاول بعض الرُهبان أن يفتشوا]

مولاي «ريموند»، أرجوك تناول. أنا مدينٌ
إلى مطران «ميلانو» لهذه الهدية النفيسة.

فاوستس: [يخطفُ الطعام] أشكرُ سيدي.
البابا: هه؟ من الذي خطفَ الطعام مني؟

65

يا أوغاد، لماذا لا تتكلمون؟ -

سيدي الطيب رئيس الأساقفة، هذه طبخة نفيسةٌ جدًّا
أرسلتُ إليّ من عند كاردينال فرنسا.

فاوستس: [يخطفُ الطبق] سأخذُ هذه، أيضاً.
البابا: أيُّ أبقين يقومون على خدمة قداستنا

70

فَيُصِيبُنَا مثل هذا من الإهانات؟
هاتوا لي شيئاً من الخمر.

[يُجلبُ الخمر]

فاوستس: [جانبا] بلى، أرجوك، لأن فاوستس ظمآن.
البابا: مولاي «ريموند» أشربُ نخبَ جلالتكُم.

فاوستس: [يخطفُ الكأس] في نخبِ جلالتكُم.
البابا: خمرتي راحت، أيضاً؟ يا مُعفلين، فتشوا

75

واجلبوا الإنسان الذي يقوم بهذه النذالات ،
والآ فَبِحَقِّ قَدَاسَتِي جَمِيعَكُمْ سَتَمُوتُونَ!--

[يفتش بعض الرهبان حولهم]

أرجوكم، يا سادتي، أن تتحلّوا بالصبر في هذه الوليمة المزعجة.
رئيس الأساقفة: لو يَسْمَحُ قَدَاسَتُكُمْ، أَعْتَقِدُ أَنَّ هَذَا يُمَكِّنُ أَنْ يَكُونَ رُوحًا
تَسَلَّلَ مِنَ الْمَطْهَرِ وَجَاءَ الْآنَ إِلَى قَدَاسَتِكُمْ مِنْ
أَجْلِ طَلْبِ الْغُفْرَانِ.

80

البابا: يُمَكِّنُ أَنْ يَكُونَ كَذَلِكَ.

أذهبوا، إذن، واطلبوا من قساوستنا أن يُنشدوا ترنيمة
لتهدئة هياج هذا الشبح المزعج.

[يخرج واحد. البابا يعمل إشارة الصليب]

85

فاوستس: والآن كيف؟ أيجب إضافة التوابل على كل لقمة بصليب؟

[البابا يعمل إشارة الصليب ثانية]

لا، إذن، خذ هذه!

[فاوستس يضرب البابا على رأسه]

البابا: آه، قُتِلْتُ! سَاعِدُونِي يَا سَادَتِي.

آه، تعالوا وساعدوا في حمل جسدي من هنا.
لتلعن تلك الروح إلى الأبد بسبب هذه الفعلة!

[يخرج البابا ورهطه]

90

مفيستوفيليس: والآن يا فاوستس، ما الذي تريد فعله الآن؟ فأنا

أقدر أن أخبرك أنك سوف تلعن بجرس وكتاب وشمعة. (73)

فاوستس: جرس وكتاب وشمعة؛ شمعة وكتاب وجرس
إقداما وإدبارا، لكي يلعن فاوستس إلى الجحيم.

[يدخل الرهبان بجرس وكتاب وشمعة للترنيم]

الراهب الأول: تعالوا يا إخوتي ولنبدأ عملنا

95

بصلوات خاشعة.

[ينشد الرهبان]

لِيلَعَنَّ ذَلِكَ الَّذِي سَرَقَ طَعَامَ قَدَاسَتِهِ مِنَ الْمَائِدَةِ.

[لِيلَعَنَّ الرَّبَّ!].

لِيلَعَنَّ ذَلِكَ الَّذِي صَفَعَ قَدَاسَتَهُ بِصَفْعَةٍ عَلَى الْوَجْهِ.
[لِيلَعَنَّ الرَّبَّ!]

100

لِيلَعَنَّ ذَلِكَ الَّذِي ضَرَبَ الْأَخَ «سَانْدِيلُو» عَلَى الْيَافُوخِ.

[لِيلَعَنَّ الرَّبَّ!]

لِيلَعَنَّ ذَلِكَ الَّذِي يُعَكِّرُ عَلَى تَرَانِيمِنَا الْمُقَدَّسَةِ.

105

[لِيلَعَنَّ الرَّبَّ!]

لِيلَعَنَّ ذَلِكَ الَّذِي خَطَفَ خَمْرَةَ قَدَاسَتِهِ.

[لِيلَعَنَّ الرَّبَّ]

[فاوستس ومفيستوفيليس يضربان الرهبان،

يُطْلِقَانِ أَلْعَابَ نَارِيَةَ بَيْنَهُمْ وَيُخْرِجَانِ].

3-3

[يدخل المهرج «روبين» و«دك» بيده كأس]

دك: يا وُلْدَ رُوبِنِ، كَانَ لِأَزْمِ نَرْتَبِ لِلشَّيْطَانِ أَنْ يَتَحَمَّلَ
مَسْئُولِيَةَ سَرَقَةِ هَذِهِ الْكَأْسِ، لِأَنَّ صَبِي الْخَمَّارِ
يَتْبَعُنَا مِنْ قَرِيبٍ.

روبين: لَا يَهْمُ. خَلِّيهِ يَجِي. إِذَا تَبَعْنَا رَاحَ أُسْحَرَهُ كَمَا
لَمْ يُسْحَرِ أَحَدٌ فِي حَيَاتِهِ. تَأْكُدُ مِنْ هَذَا.
خَلِّينِي أَرَى الْكَأْسَ.

5

[يدخل الخمار]

دك: يُعْطِي الْكَأْسَ إِلَى «رُوبِنِ» هَاكُنَا، قَدْ وَصَلَ.

الآن «روبين» الآن أولاً أبداً، بين براعتك.

الخمار: هه، انتما هنا؟ أنا سعيد أنني وجدتكما، أنتما

10

زوج رفاق طيبان بحياتكما، أين الكأس التي

سرقتماها من الخمار

روبين: كيف، كيف؟ نحن نسرق كأساً؟ انتبه إلى كلامك.

نحن لا نبدو سراقاً كؤوس. أفهمني.

الخمار: لا تنكرها لأنني أعرف أنها عندك، وسأفتشك.

- 15 روبن: تفتّشني؟ طيّب، لا توفّر [جانبا إلى «دك». يرمي له الكأس] امسك الكأس يا «دك» [للخّمّار] تعال، تعال، فتّشني، فتّشني. [الخّمّار يفتّش روبن]
- الخمّار: [إلى «دك»] تعال يا ولد، دغني أفتّشك الآن.
 دك: بلى، بلى، فتّش، فتّش [جانبا إلى روبن، ويناوله الكأس]
- 20 امسك الكأس يا روبن [إلى الخّمّار] أنا لا أخاف تفتّيشك. نحن نحترق سرقة كؤوسك، افهمني. [الخّمّار يفتّش دك]
- الخمّار: لا تتحدّاني بهذه المسألة، من المؤكد أن الكأس بينكما أنتما الاثنين.
- روبن: [ملوّحاً بالكأس] لا، أنت هنا تكذب، (74) إنها أمامنا معا.
- 25 الخّمّار: يضربكما الطاعون! حسبتها من مُعابثاتكما أن تأخذاها هاتاها، اعطياها لي ثانية.
- روبن: بلى، حالا! متى، هل تعرف؟ دك، ارسم لي دائرة (75) وقفّ قريبا خلفي، ولا تتحرك أبدا [دك يرسم دائرة].
- يا خمّار، سوف تحصل على كأسك في الحال، لا تقل شيئا يا دك.
- 30 ○ وحدها تعني ○ ديموگورگون، بيلجر، ومفيستوفيليس!
- [يدخل مفيستوفيليس. يخرج الخّمّار راكضاً]
 مفيستوفيليس: يا حشود الحكم الجهّمي، كم أزعجني سحر هؤلاء الأوغاد! لقد جلبوني الآن من القسطنطينية لمحض تسلية هؤلاء الأوباش الملاعين.
- 35 روبن: أقسم بالعدراء، يا سيدي، أنك قمت برحلة مرهقة بسببنا. هل يُعجبك أن تأخذ كتف لحم غنم للعشاء مع درهم في جيبك وترجع مرة ثانية؟
- دك: بلى، أرجوك من كل قلبي، سيدي، لأننا ما استدعيناك إلا للمزاح، أوكد لك.
- 40 مفيستوفيليس: لتصفية حماقة في هذا الفعل اللعين،

أولاً، [إلى دك] لتتقلب إلى شكل قبيح،
لأن الأفعال القردية تنقلب إلى قرد.

[دك ينقلب في شكله]

روبن: آه، بديع، قرد! أرجوك سيدي خلّيني أحمله
وأدور به لأعرض بعض الحيل.

45

مفيستوفيليس: وسيحصل فلتتحول إلى كلب،
واحمله على ظهرك. ابعدوا، غيبوا!

[يتحول روبن في شكله]

روبن: كلب؟ هذا ممتاز. خلّي الصبايا يحرسن
صحون حسائهن، لأنني سأدخل المطبخ
فورا، تعال، يا دك، تعال.

50

[يخرج المهرّجان ودك على ظهر روبن]

مفيستوفيليس: والآن بالسنة لهيب النار الأزلية
سأفرد جناحي وأطير بهما بسرعة
إلى صاحبي فاستس، وإلى بلاط التركي العظيم.

[يخرج]

1-4

[يدخل «مارتينو» و«فريدريك» من بابين مختلفين]

مارتينو: هيه، هو، يا ضباط، يا سادة!

أسرعوا بالحضور لانتظار الإمبراطور.

يا فريدريك، يا طيب، تأكد من فراغ الغرف فورا،
جلالته قادم إلى القاعة.

5

ارجع، وتأكد أن الوضع جاهز.

فريدريك: ولكن أين «برونو» البابا الذي انتخب،

والذي عاد مسرعا تحمله الريح من روما؟

ألن يرافق نيافته الإمبراطور؟

مارتينو: آه، بلى، وبمعيته يأتي الساحر الألماني،

10

فاوستس العليم، شهير فتنبرك

أعجوبة العالم في علم السحر،

وهو ينوي أن يعرض أمام «كارلوس» العظيم (76)
سلالة جميع أسلافه العظام،
ويستحضر أمام جلالته
الأشكال الملكية والأشباه الحربية

15

لكل من الإسكندر وحبيبته الجميلة.

فريدريك: أين «بنقوليو»؟

مارتينو: غارقا في النوم، أوكد لك.

بعد أن طفحت كؤوسه من خمرة الراين

وشرب نخب «برونو» ليلة أمس.

20

بحيث سيبقى الكسول في فراشه طوال النهار.

فريدريك: انظر، انظر، شبّاكه مفتوح، لننادِ عليه.

مارتينو: هيه، هو «بنقوليو»!

[يدخل «بنقوليو» من الأعلى بجانب شبّاكه،

مرتدياً قُبعة الليل، ويعدّل هيئته]

بنقوليو: أيّ شيطان يثيرُكما كلاكما؟

25

مارتينو: تكلمْ بهدوء، سيدي، لنلا يسمعك الشيطان،

لأن فاوستس قد وصل إلى البلاط مؤخرا،

وتنتظر وراءه ألف من أرواح الشياطين

لتؤدي أي شيء يريدُه الدكتور.

بنقوليو: وما قيمة ذلك؟

30

مارتينو: تعالْ واترك غرفتك أولاً، لسوف ترى

هذا الساحر يؤدي أفعالا خارقة

أمام البابا والإمبراطور الملكي

مما لم يره أحد من قبل في جرمانيا.

بنقوليو: أليس لدى البابا ما يكفي من السحر إلى الآن؟

35

لقد ركب على ظهر شيطان أخيرا،

وإذا كان يحبّ الشيطان إلى هذا الحد،

أتمنى لو يُسرع في العودة معه إلى روما.

فريدريك: تكلمْ، هل تريد أن تنزل وتستمتع بهذا العرض؟

بنقوليو: لا أريد.

- 40 **مارتينو:** هل تريد الوقوف عند الشبّاك ومراقبة العرض، إذن؟
بنقوليو: بلى، إذا لم يغلبني النوم في هذه الأثناء.
- 45 **مارتينو:** الإمبراطور على وشك الوصول، وهو قادم ليرى العجائب التي يمكن أن يعملها السحر الأسود.
بنقوليو: حسنا، اذهبوا لانتظار الإمبراطور، أنا سعيد بهذه المرّة في الإطّلال برأسي من الشبّاك، لأنهم يقولون إذا كان الإنسان ثملا طوال الليل فإن الشيطان لا يمكن أن يؤذيه في الصباح. فإذا كان هذا صحيحا، فإن في رأسي سحرا سوف يسيطر على الشيطان وعلى الساحر، أكيد.

[يخرج فريدريك ومارتينو. يبقى بنقوليو عند شبّاكه.
صوت بوق. يدخل جارلس الإمبراطور الجرمانى،
وبرونو، ودوق ساكسونى، وفاوستس، ومفيسستوفيليس،
وفريدريك ومارتينو وخدم. الإمبراطور جالسا على عرشه]

- 50 **الإمبراطور:** يا أعجوبة البشر، يا ساحرا شهيرا،
يا مُثَلِّث المعرفة، (77) يا فاوستس، مرحبا بك في بلاطنا.
هذا الذي فعلته، في إطلاق سراح «برونو»
من عدوّه وعدوّنا الأكيد،
سيضيف فضلا على معرفتك
أكثر ممّا لو استطعت برّقاك السحرية القوية
أن تُرغم العالم على الطاعة.
- 55 **فلتكن محبوبا لدى «كارولوس» إلى الأبد.**
ولو أن «برونو» الذي حرّرتّه هذا
سيبلغ بسلام ذلك التاج المُثَلِّث
ويجلس في كرسي «بيتر»، على الرّغم من الظروف،
فلسوف تكون شهيرا على امتداد إيطاليا،
ومكرّما لدى الإمبراطور الجرمانى.
- 60 **فاوستس:** هذه الكلمات النبيلة، يا رفيع المَلَكِيّة يا «كارولوس»
سوف تجعل فاوستس المسكين إلى أقصى ما يستطيع
يحبّ الإمبراطور الجرمانى ويخدمه،

- ويضع حياته تحت قدمي «برونو» المقدس.
65 ولإثبات ذلك، لو شاء جلالتكُم،
لوقف الدكتور جاهزا بقوة المعرفة
أن يطلق أفانين سحره، التي سوف تخرق
البوابات السود للجحيم أزلية الاحتراق،
وتستدعي أرواح الانتقام العنيدة من كهوفها
70 لتنفذ كل ما يأمرُ به جلالتكُم.
بنقوليو: [جانبا، وهو عند الشباك] أقسم بدمه. (78) كلامه
مريع. ولكن مع ذلك فأنا لا أثق به كثيرا، فهو يشبه
الساحر قدر ما يشبه البابا بائع خضار متجول.
الإمبراطور: إذن، يا فاوستس، مثلما وعدتنا أخيرا،
75 نريد أن نرى ذلك الفاتح الشهير
الإسكندر العظيم مع خليلته
في هينتهما الفعلية وجلالة شكلهما،
لكي نعجب بروعة ما نرى.
فاوستس: جلالتكُم سوف تراهما فورا.
80 [جانبا إلى مفيستوفيليس] مفيستوفيليس، أسرع،
وبضجيج مهيب وصداح أبواق
أحضر أمام هذه الجلالة الملكية
الإسكندر العظيم و خليلته الجميلة.
مفيستوفيليس: [جانبا إلى فاوستس] سأفعل يا فاوستس.
[يخرج مفيستوفيليس]
85 بنقوليو: [عند الشباك] طيب، يا سيادة الدكتور، إذا شياطينك
لم يظهروا بسرعة، ستراني نائما حالا. أقسم بجروحه، أنني
قد أكل نفسي من الغضب إذ أجد أنني قد كنت حمارا كل
هذا الوقت، واقفا بفم مفتوح متطلعا نحو حاكم الشيطان
هذا ولا أرى شيئا.
فاوستس: [جانبا] سأجعلك تشعر بشيء حالا إذا لم يسعفني
90 علمي.
[إلى الإمبراطور] مولاي، يجب أن أشير إلى جلالتكُم
أنه عندما تُقدم شياطيني الأشكال الملكية

مثل الإسكندر وخليته، يجب ألا يسأل جلالتم
أي أسئلة من الملك،

95

بل أن تتركوهما يأتیان ويذهبان بصمت مطبق.

100

الإمبراطور: ليكن كما يشاء فوستس. نحن راضون.
بنقوليو: [عند الشباك] بلى، بلى، وأنا راض أيضاً، إذا أنت
تستحضر الإسكندر وخليته أمام الإمبراطور، فأنا
سأكون «أكتايون» (79) وأقلب نفسي إلى وعل.
فوستس: وأنا سأقوم بدور «دايانا» وأرسل لك القرون فوراً.
[يدخل مفيستوفيليس. صوت بوق. يدخل من أحد الأبواب
الإمبراطور الإسكندر ومن باب آخر «داريوس»].
يلتقي الاثنان. «داريوس» (80) يطرح أرضاً،
يقتله الإسكندروينتزع تاجه، وإذ يتوجه للخروج
تقابلة خليته. يعانقها ويضع تاج «داريوس» على رأسها،
وإذ يعودان يقومان بتحيةة الإمبراطور الجرمانى،
الذي يترك مجلسه ويحاول معانقتهما، وإذ يرى فوستس ذلك
يمنعه فوراً. ثم تتوقف الأبواق وتبدأ الموسيقى]

105

مولاي الكريم، أنت تنسى نفسك.
هؤلاء ليسوا سوى أشباح وليسوا حقيقيين.
الإمبراطور: آه، اعذرنى. فأفكاري مأخوذة
بمنظر هذا الإمبراطور الشهير،
حتى إنني كدت أطوقه بذراعي.
ولكن يا فوستس، بما أنني لن أستطيع الكلام معهما
فلكى ترضى أفكارى المشرببة إلى المدى،
لأقل لك هذا: فقد سمعتهم يقولون

110

إن هذه السيدة الجميلة، عندما كانت تعيش على الأرض
كان لها على عنقها ثولولة صغيرة أو شامة.
كيف لي أن أثبت صحة ذلك القول؟
فوستس: جلالتم يمكن أن تتجراً وتذهب لترى.
الإمبراطور: [يتفحص] فوستس، أراها بوضوح،

- 115 وبهذا المنظر قد أسعدتني
أكثر مما لو كسبت مملكة أخرى.
فاوستس: [للأرواح] ابعدوا، غيبوا!
[يخرج المشهد]
انظر، انظر، يا مولاي الكريم، أي وحشٍ غريب هناك،
يُطلُّ برأسه من الشباك.
[بنقوليو يرى وقد نبتت له قرون]
- 120 الإمبراطور: يا للمشهد العجيب! انظر يا دوق ساكسوني،
قرنان متشعبان ملتصقان بشكل عجيب
على رأس الشاب «بنقوليو».
ساكسوني: هه، أهو نائم أو ميت؟
فاوستس: هو نائم، يا مولاي، لكنه لا يحلم بقرونه.
الإمبراطور: هذه تسلية ممتازة، سننادي عليه ونوقظه. —
هي، هو، بنقوليو!
بنقوليو: يضربكم الطاعون! دعوني أنام قليلا.
الإمبراطور: لا ألومك إذا نمت كثيرا ولديك
مثل هذا الرأس.
- 130 ساكسوني: ارفع نظرك يا ملقوليو - الإمبراطور يناديك.
بنقوليو: الإمبراطور؟ أين؟ أوه، جروحه! (81) رأسي!
الإمبراطور: لا عليك، إذا بقيت قرونك، فهذا لن يؤذي
رأسك، لأنه محصن بما يكفي.
فاوستس: هيه، كيف الآن، يا سيدي الفارس؟ مشدود بالقرون؟
- 135 هذا فظيع جدا. تعسا، تعسا، اسحب رأسك،
ياللعار، لا تدع العالم كله يعجب منك.
بنقوليو: يا جروحه يا دكتور، هل هذه أفاعيلك؟
فاوستس: أو، لا تقل هكذا، سيدي، الدكتور ليست لديه الخبرة
ولا المعرفة، ولا الوسيلة ليحضر أمام هؤلاء السادة
أو يجلب أمام هذا الإمبراطور المهيب
الملك العظيم، المحارب الإسكندر.
فلو استطاع فاوستس أن يفعلها لاستطعت فوراً
من شكل «أكتائيون» المهيب أن تتحول إلى وَعِلٍ. —

- لذلك، سيدي، لو سمحتَ جلالتكُم،
 145 سوف أثير وِجارِ كلابِ لتصطاده
 فلا تستطيعُ خَفَّةَ خَطْوِهِ فِي السَّبْقِ
 من حماية جُثته من مخالِبهم الداميةِ.
 *هوه، بيليموث، أرجيرون، آشتاروث! (82)
 بنقوليو: توقّف، توقّف! أقسمُ بجروحه، سوف يثير وِجارَ شياطين،
 150 حالا، كما أظن، سيدي الكريم، استعطف لي، أقسمُ بدمه،
 لن أستطيع أبدا تحمّل ذلك العذابِ.
 الإمبراطور: إذن، يا سيادة الدكتور الكريم،
 فلأطلب منك أن تُزيلَ قرونهِ.
 لقد قدّم ما يكفي من الندامةِ.
 155 فاستس: يا سيدي النبيل، ليس بسبب ما أصابني منه من أذى
 قدّر ما رَغِبْتُ فِي تَسْلِيَةِ جلالتكُم بشيءٍ من المَرَحِ، أراد
 فاستس أن يقتصّ من هذا الفارس المؤذي، وهو
 كل ما أرَدْتُهُ، وأنا راضٍ بإزالة قرونه. مفيستوفيليس
 غير شكله [مفيستوفيليس يُزيل القرون] ومن
 الآن فصاعدا، سيدي، عليك أن تتكلم بخير عن العلماءِ.
 160 بنقوليو: أتكلّم بخير عنك؟ أقسمُ بدمه، إذا كان العلماء مثل
 صانع القوادين، هذا، يضعون القرون على رؤوس
 أناس أشرف من هذا النمط، فإني لن أثق بأصحاب
 الوجوه الناعمة واللفاعات (83) الصغيرة بعد اليوم، ولكن
 إذا لم أنتقم لنفسي عن هذه، وددتُ لو أنقلب إلى
 مَحارة فَاغِرَة الفم، لا أشرب سوى الماء المالحِ.
 [يخرج بنقوليو ويغادر الشبّاك]
 165 الإمبراطور: تعال يا فاستس، طالما بقي الإمبراطور حيا،
 ولقاء جهودك العالية هذه
 ستكون حاكما على ولاية جرمانيا
 وتعيش محبوبا لدى «كارولوس» العظيمِ.
 [يخرجون]

[يدخل بنقوليو، مارتينو، فريدريك، وجنود]

مارتينو: كلاً، يا بنقوليو الحبيب. لنغير أفكارك

عن هذه المحاولة للانتقام من الساحر.

بنقوليو: ابعدوا عني! أنتم لا تحبوني إذ تلحون عليّ بهذا الشكل.

هل أترك مثل هذا الأذى العظيم يمرّ

5

بينما كلّ من هبّ ودبّ يسخر ممّا أصابني

وفي ألعابهم الخرقاء يرددون جدّلين

"رأس بنقوليو تكرم بقرون هذا اليوم"؟

أوه، ليت هذين الجفنين لا ينطبقان ثانية

إلا بعد أن أقتلّ هذا الساحر بسيفي!

10

إذا كنتم تريدون مساعدتي في هذه المغامرة

فأشهبوا أسلحتكم إذن وكونوا عازمين،

وإلا فانصرفوا. هنا سوف يموت بنقوليو،

لكنّ موت فاوستس سيغسل عاري.

فريدريك: كلاً، بل سنبقى معك، وليكن ما يكون،

15

ولنقتل ذلك الدكتور إذا مرّ من هنا

بنقوليو: إذن، يا فريدريك الكريم، أسرع إلى الأجمة،

ورتبّ خدماً وأتباعنا

على مقرّبة في كمين هناك خلف الأشجار.

في هذا الوقت، اعرف أن الساحر قد اقترب،

20

فقد رأيته يركع ويقبل يد الإمبراطور

ويستأذن للخروج، مثقلاً بالهدايا الثمينة.

إذن، يا جنود، قاتلوا بشجاعة. فإن مات مفيستوفيليس،

خذوا الثروة واتركوا لنا الانتصار.

فريدريك: تعالوا، يا جنود، اتبعوني إلى الأجمة.

25

فمن يقتله سينعم بالذهب وبالحبّ الدائم.

[يخرج فريدريك مع الجنود]

بنقوليو: رأسي صار أخفّ ممّا كان وعليه القرون،

لكن قلبي مايزال أثقل من رأسي

ويضطرب حتى أرى ذلك الساحر ميتاً.

- 30 **مارتينو:** أين سننخذ مواقعنا، يا بنقوليو؟
بنقوليو: هنا سنبقى وننتظر الهجوم الأول.
 آه، لو كان ذلك الكلب الجهنمي اللعين هنا،
 لرأيتموني سريعا أغسل عاري القبيح.
[يدخل فريدريك]
فريدريك: تقاربوا، تقاربوا! الساحر يقترب ،
 وحده يأتي، ماشيا بعباءته
- 35 **استعدوا، إذن، واطرحوا الجلف أرضا.**
بنقوليو: ليكون لي الشرف، إذن، والآن يا سيفي أصب مقتلا!
 لقاء ما أعطى من قرون، سأقطع رأسه فورا.
[يدخل فاوستس برأس زائف]
مارتينو: انظروا، انظروا، ها هو قادم
بنقوليو: بلا كلام. هذه ضربة فيها الختام.
 لتأخذ الجحيم روحه! جسمه يجب أن يهوي هكذا.
[يضرب فاوستس]
- 40 **فاوستس:** [يسقط] آه!
فريدريك: هل تئن، يا سيادة الدكتور؟
بنقوليو: ليت قلبه ينفطر بالأنين! عزيزي فريدريك، انظر،
 هكذا سأنهي أحزانه فورا.
مارتينو: اضرب بيد عازمة.
[بنقوليو يقطع رأس فاوستس الزائف]
قُطِعَ رَأْسُهُ!
- 45 **بنقوليو:** الشيطان مات، أرواح الانتقام قد تضحك الآن.
فريدريك: هل كان هذا ذلك الوجه الكئيب، ذلك العبوس الفظيع،
 الذي جعل ملك الأرواح الجهنمية المقيت
 يرتعد ويرتجف لرُقاها الأمرة؟
مارتينو: هل كان هذا ذلك الرأس اللعين الذي تآمر قلبه
 فألحق العار بشخص بنقوليو أمام الإمبراطور؟
بنقوليو: بلى، ذلك هو الرأس، وهنا يرتمي الجسد،
 جزاءً وفاقا على أفاعيله.
فريدريك: تعال، لنحطط كيف نضيف مزيدا من العار
- 50

- 55 على الجريمة السوداء لاسمه الكريه.
بنقوليو: أولاً، على رأسه، تصفية لأضرارِي،
سوف أثبت قرنين ضخمين متشعبين وأعلقهما
في الشبّاك الذي ربطني فيه أولاً
لكي يرى العالم كله انتقامي العادل.
مارتينو: ما الذي سنستفيد من لحيته؟
- 60 بنقوليو: سنبيعها لكنّاس مَداخن وسوف تُبلي عشرة
من أعواد المكناس الخشبية، أوكد لكم.
فريدريك: وماذا تفيد عيناه؟
بنقوليو: سنقتلع عينيه، وستفيدان في صنّع أزرار
لشفتيه لتحفظ لسانه من الإصابة بالبرد.
65 مارتينو: خطة ممتازة. والآن، يا سادتي، وقد قطّعناه،
ماذا يفيدنا جسده؟
[فاوستس ينهض]
بنقوليو: يا جُروحَه! عادَ الشيطانُ للحياة من جديد!
فريدريك: اعطه رأسه، بحق الله
فاوستس: لا، احتفظ به، فاوستس سيأخذ رؤوسا وأيدي،
70 بلى، وجميع قلوبكم، تعويضا عن هذا الفعل.
ألم تعلموا، يا خَوْنَة، أنه قد حُدِّد لي
أربع وعشرون سنة لأعيش على الأرض؟
وأنه لو قطعتم جسدي بسيوفكم
ومزقتم هذا اللحم والعظام حتى صارت رمالا،
75 فإن روعي في ظرف دقيقة ستعود
وأعود إنسانا يتنفس ، خاليا من الأذى.
ولكن لماذا أتوانى في انتقامي؟
أشتاروث، بيليموث، مفيستوفيليس!
[يدخل مفيستوفيليس ومعه الشيطانان بيليموث وأشتاروث]
80 اذهبوا احملا هؤلاء الخونة على ظهوركما النارية
وانطلقا عاليا بهم إلى حدود السماء
ثم اقدفا بهم إلى أعماق الجحيم.
ولكن انتظر يجب أن يرى العالمُ تعاستهم،

ثُمَّ تُعَذِّبُهُمُ الْجَحِيمُ بَعْدَ ذَلِكَ جَزَاءَ خِيانتِهِمْ.
اذهب، يا بيليموث، وخذ هذا الوغد من هنا
واقذف به في بحيرة من الطين والأوساخ.

85

[إلى أشتاروث]

وأنت، خذ هذا الآخر، دحرجه خلال الآجام
بين وخذ الأشواك وغلظ الأغصان،
بينما يقوم عزيزي مفيستوفيليس
يطير بهذا الخائن إلى جبلٍ وعرٍ
يتدحرج منه نازلاً فتتكسر عظامُ الوغد
لأنه حاول أن يقطع أوصالي.
أسرع من هنا. نفذ مطلبي فوراً.

90

فريدريك: ارحمنا، يا فاوستس الكريم. أنقذ حياتنا!
فاوستس: أبعد!

فريدريك: يجب أن يبتعد من يأمره الشيطان بذلك.
[تخرج الشياطين والفرسان على ظهورهم.

يدخل الجنود من الكمين]

95

الجندي الأول: أسرعوا، يا سادة. جهّزوا أنفسكم واستعدّوا
عجلوا لمساعدة هؤلاء السادة النبلاء.
سمعتهم يتحدثون مع الساحر.

الجندي الثاني: انظروا من أين يأتي. اهاجموا واقتلوا الحقير.
فاوستس: ماذا هنا؟ كمينٌ للاعتداء على حياتي؟

100

إذن، يا فاوستس، جرّب مهارتك. يا أوغاد حقيرين، قفوا!
انظروا فهذه الأشجار تتحرك وفق أمري

وتقف سدودا بينكم وبينني

لتحميني من خيانتكم البغيضة.

ولكن لمواجهه محاولتكم الهزيلة هذه

105

ها هو جيشٌ عرمرمٌ يزحف

[فاوستس يطرق الباب، فيدخل شيطان ينقر على طبل،

يتبعه آخر يحمل راية، ومهاجمون يحملون أسلحة؛
يدخل فاوستس بألعاب نارية. يهجمون على الجنود
ويطردوهم. يخرج فاوستس]

3-4

[يدخل من أبواب شتى كلٌّ من بنقوليو، فريدريك ومارتينو،
رؤوسهم ووجوههم مدمّاة وملطّخة بالطين والأوساخ،
وعلى رؤوسهم قرون]

مارتينو: هيه، هو، بنقوليو!

بنقوليو: هنا، هيه، فريدريك، هو!

فريدريك: آه، ساعدوني، يا صحتي الكرام، أين مارتينو؟

مارتينو: عزيزي فريدريك، هنا.

نصف مختنق في بحيرة من الطين والأوساخ.

جرتني خلالها من كعبيّ أرواح النعمة.

فريدريك: ومارتينو، انظر قرون بنقوليو من جديد.

مارتينو: يا للتعاسة! كيف الآن، يا بنقوليو؟

بنقوليو: حمايتك يا سماء. هل سألقي بيد الشيطان دائما!

مارتينو: كلا، لا تخف يا رجل. ليست لدينا قوة لنقتل. (84)

بنقوليو: أصدقائي تحولوا هكذا! يا ضغينة جهنمية!

رؤوسكم جميعا تعلوها القرون.

فريدريك: أصبت تماما.

تقصد قرونك أنت. تلمس رأسك.

بنقوليو: [يتلمس رأسه] يا جروح! قرون ثانية!

مارتينو: كلا، لا تقلق يا رجل فقد هلكنا جميعا.

بنقوليو: أي شيطان يخدم هذا الساحر اللعين،

اذ على الرغم من كل ما نعمل تتضاعف أضرارنا.

فريدريك: ما الذي يمكننا فعله لكي نخفي مخازينا؟

بنقوليو: لو تبعناه بغرض الانتقام منه.

لأضاف آذان حمير طويلة إلى هذه القرون الهائلة

وجعل منا أضحوكة للعالم جميعا.

5

10

15

20

مارتينو: إذن ما الذي يجب أن نعمله، عزيزي بنقوليو؟
بنقوليو: عندي قلعة قريبة بجوار هذه الأجمات،
وإليها يجب أن نلتجئ ونعيش في عزلة
إلى أن يغير الزمن أشكالنا الوحشية هذه،
لأن مثل هذا العار الأسود قد كسَفَ سُمَعَتنا
فالأفضل لنا أن نموت في كَمَدٍ من أن نعيشَ في هوان.

25

4-4

[يدخل فاوستس وتاجر الخيول ومفيستوفيليس]

تاجر الخيول: [يعرض نقوداً] أرجو من سيادتكم قبول هذه الدولارات الأربعين.
فاوستس: يا صديقي، لا يمكنك أن تشتري مثل هذا الحصان الأصيل
بمثل هذا الثمن القليل. ليس بي حاجة كبيرة لبيعه،
ولكن إذا أردت أن تحصل عليه بعشرة دولارات إضافية
فهو لك، لأنني أرى أنك راغبٌ فيه كثيراً.

5

تاجر الخيول: أتوسّل إليك، سيدي، اقبل بهذه فأنا رجل فقير جدا
وقد خسرت كثيراً في تجارة الخيول أخيراً، وهذه الصفقة
سوف تُعينني في استعادة وضعي من جديد.

10

فاوستس: حسناً، لن أتجادل معك، اعطني النقود [يأخذ النقود]
والآن سيدي، يجب أن أخبرك أن بإمكانك ركوب هذا الحصان
عبر الحواجز والخنادق ولا تقصّر في شيء. ولكن، هل تسمع؟
في جميع الأحوال لا تدخل به في الماء.

تاجر الخيول: لماذا يا سيدي، لا داخل الماء؟ ألا يشرب من جميع المياه؟
فاوستس: بلى، يشرب من جميع المياه، ولكن لا تركبه وتدخل به في الماء

15

عبر الحواجز والخنادق ، أو حيثما تشاء ، ولكن ليس داخل
الماء. اذهب وقل للسائس أن يسلمه إليك، وتذكّر ما قلته.
تاجر الخيول: أضمن لك ذلك، سيدي – يا فرحة اليوم! الآن
أصبحت مطمئناً إلى الأبد.

20

[يخرج تاجر الخيول]

فاوستس: ما أنت، يا فاوستس، سوى إنسان محكوم عليه بالموت؟
زَمَانُكَ الْمُهْلِكُ يَقْتَرِبُ مِنْ نَهَائِتِهِ.
وَالخَيْبَةُ تَبْعُ الشُّكَّ فِي أَفْكَارِي.
اقْضِ عَلَى هَذِهِ الْمَشَاعِرِ بِنُومٍ هَادِي.

25

هه ! المسيح خاطبَ اللصَّ عَلَى الصليبِ؛ (85)
إِذْ أَهْدَأُ، يَا فَاوَسْتَسْ، مَطْمَئِنَّا فِي أَفْكَارِكِ.

[يجلس لينام. يدخل تاجر الخيول مبللاً]

تاجر الخيول: آه، يا لهذا الدكتور المُحْتَالِ! أَنَا رَكِبْتُ الْحِصَانَ
وَدَخَلْتُ بِهِ فِي الْمَاءِ، حَاسِبًا وَجُودَ سِرِّ دَفِينِ

30

فِي الْحِصَانِ، فَلَمْ أَجِدْ تَحْتِي سِوَى قَلِيلٍ مِنَ الْقَشِّ
وَبَجُودِ جَهْدِ تَخَلُّصٍ مِنَ الْغَرَقِ، سَأَذْهَبُ وَأَوْقِظُهُ
وَأَجْعَلُهُ يَعِيدُ لِي الْأَرْبَعِينَ دُولَارًا - هُوَ، أَنْتَ

يَا دَكْتُورَ، يَا مُحْتَالَ يَا حَقِيرًا! يَا سَيِّدَ دَكْتُورَ، اسْتَيْقِظْ،
وَانْهَضْ وَأَرْجِعْ لِي نَقُودِي، لِأَنَّ حِصَانِكَ انْقَلَبَ

35

إِلَى حَزْمَةِ قَشِّ، يَا سَيِّدَ دَكْتُورَ [يَنْزِعُ سَاقَهُ] يَا وَيْلَتِي!
مَاذَا سَأَفْعَلُ؟ لَقَدْ نَزَعْتُ سَاقَهُ.

فاوستس: آه، النجدة، النجدة! لقد اغتالني الوغد.

تاجر الخيول: اغتيال أو غيره، الآن لم يبق عنده سوى ساق واحدة.
وسوف أسبقه وألقي بهذه الساق في خندق أو سواه.

[يخرج تاجر الخيول وبیده الساق]

40

فاوستس: أوقفوه، أوقفوه، أوقفوه! ها، ها، ها!

فاوستس استعاد قدمه، وتاجر الخيول حصل على حزمة
قش لقاء الأربعين دولارًا.

[يدخل فاكنر]

كيف الآن، يا فاكنر، ماذا لديك من أخبار؟

فاكنر: لو سمحت، إن دوق «فانهولت» يلح في طلب
صُحْبَتِكَ وَقَدْ أَرْسَلَ أَحَدَ رِجَالِهِ لِمُرَافَقَتِكَ

45

مع تجهيزات تناسب الرحلة.

فاوستس: دوق «فانهولت» سيد جليل، ورجلٌ يجب ألا أبخل عليه بمعارفي.
[يخرجون]

5-4

[يدخل المهرج روبن، ديك، تاجر الخيول، وحوذي]

الحوذي: تعالوا يا سادتي، سأخذكم إلى أفضل بيرة
في أوروبا - هيه، هوه، مضيفة! - أين هذه العاهرات؟
[تدخل المضيفة]

المضيفة: هيه الآن - ماذا تريد؟ هه، ضيوفي القدامى، أهلا!
روبن: [جانبا إلى ديك] ديك يا ولد، هل تعرف لماذا
أنا أقف صامتا؟

5

ديك: [جانبا إلى روبن] لا، يا روبن، لماذا؟
روبن: [جانبا إلى ديك] أنا مدينٌ بثمانية عشر پنسا، لكن
لا تقل شيئا انظر إذا كانت قد نسييتي.
المضيفة: [تلمح روبن] من هذا الواقف كئيبا وحده؟
هيه، ضيفي القديم؟

10

روبن: آه، مضيفتنا، كيف حالك؟ أمل أن حسابي على حاله.
المضيفة: بلى، لا شك في ذلك، لأنني أظن أنك لست
في عجلة لإلغائه.

15

ديك: هه، مضيفة، أقول، هاتي لنا البيرة.
المضيفة: تصلك، في الحال. انتبهوا للقاعة هناك! (86)

[تخرج المضيفة]

ديك: هيا، يا سادتي، ماذا سنفعل الآن حتى تعود المضيفة.
الحوذي: وحياتها (87)، سيدي، سأحكي لكم أجمل حكاية كيف
خدعني ساحر، تعرفون دكتور فاوستس؟

تاجر الخيول: بلى، يضربه الطاعون. هذا واحدٌ منا لديه
سببٌ ليعرفه. هل سحرك أنت أيضا

20

الحوذي: سأخبركم كيف خَدَعَنِي. عندما كنت ذاهبا إلى «قتبرك» ذات يوم مع حمولة من القش، استوقفني وسألني كم سيدفع لي لقاء ما يستطيع أكله من ذلك القش. يا سيدي، قلت في نفسي قد يكتفي بالقليل، فقلت له أن يأخذ كفايته لقاء ثلاثة فلوس، فدفعت لي النقود فوراً، وانهاه يأكل، وكما أنني مسيحي حقا (88)، لم يتوقف عن الأكل حتى أتى على جميع حمولتي من العلف اليابس!

الجميع: باللفظاعة! أكل حمولة قش بكاملها!

روبن: بلى، بلى، هذا ممكن، لأنني سمعت عن واحد أكل حمولة من زنود الخشب. (89)

تاجر الخيول: والآن يا سادة، ستسمعون كيف خَدَعَنِي الوغد. ذهبت إليه أمس لأشتري منه حصانا لكنه لم يوافق على بيعه بأقل من أربعين دولاراً، لذا، سيدي، لأنني كنت أعلم أنه حصان يستطيع الركض عبر الحواجز والخنادق ولا يتعب، أعطيتُه النقود. ولما أخذتُ حصاني، قال لي دكتور فاورستس أن أركب الحصان ليلَ نهار ولا أوفر له وقتَ راحة. ولكن قال لي في جميع الأحوال لا تتركبه وتدخل به في الماء؛ والآن، سيدي، حسبتُ أن في الحصان صفة لا يريدني أن أعرفها. فما الذي عملته سوى الدخول به في نهر عظيم؟ فلما وصلتُ منتصفَه تلاشى حصاني وبقيتُ راكبا على حزمة قش.

الجميع: دكتور رائع!

تاجر الخيول: ولكن ستسمعون كيف أبدعتُ في خديعته بالمقابل. أخذتُ طريقي إلى داره، فوجدته نائماً هناك. فرحنتُ أصيحُ به وأزعقُ في أذنيه، وكل ذلك لم يوقظه، ولما رأيتُ ذلك أمسكتُ بساقه ولم أتوقف عن السحب حتى انتزعته من جسده، وهي الآن عندي في الدار.

روبن: والآن لم يبقَ عند الدكتور سوى ساق واحدة؟ ممتاز، لأن واحداً من شياطينه أحالني إلى ما يشبه وجه قرد.

الحوذي: مزيداً من الشراب يا مضيقة!

روبين: اسمعوا، سنذهب إلى غرفة أخرى ونشرب لفترة،
ثم نذهب للبحث عن الدكتور.

[يخرجون]

6-4

[يدخل دوق «قانهولت» والدوقة زوجته (الحامل)،
فاوستس ومفيستوفيليس وخدم]

الدوق: شكرا يا سيادة الدكتور، على هذه المشاهد البهيجة.
ولا أعرف كيف أكافئ جهودك العظيمة في إقامة
تلك القلعة المسحورة في الفضاء، التي منظرها
أبهجني، كما لا يمكن أن يبهجني منظر آخر في العالم.
فاوستس: أنا أجد نفسي، يا مولاي النبيل، قد أجزلتكم
مكافأتي إذ تلطفتكم سموكم فظننتكم خيرا
بما قدمه فاوستس. ولكن، يا سيدتي النبيلة،
ربما لم ترق لكم تلك المشاهد، لذلك أرجو
أن تخبريني بالشيء الذي ترغبين فيه كثيرا،
فإذا كان موجودا في العالم، سيكون لك. فقد سمعتُ

10

أن الحوامل يتشوقن إلى الأشياء النادرة الجميلة.
الدوقة: صحيح يا سيادة الدكتور، وبما أنني أجدك بهذا الطيب،
سوف أبين كل ما يشتهي قلبي الحصول عليه.
ولو كنا الآن في فصل الصيف، لكننا الآن في (يناير) كانون الثاني،
وهو مواسم الشتاء، لما طلبت أفضل طعام من طبق عنب ناضج.
فاوستس: هذه مسألة بسيطة [جانبا إلى مفيستوفيليس] اذهب،
مفيستوفيليس، أسرع!

[يخرج مفيستوفيليس]

سيدتي، سأعمل أكثر من هذا لإرضائك.

[يدخل مفيستوفيليس ثانية ومعه العنب]

تفضلتي، والآن تذوقي هذه. يجب أن تكون طيبة لأنها

5

15

[الدوقة تتذوق العنب]

الدوق: هذا يجعلني أتعجب أكثر من جميع الآخرين، بأن في هذا الوقت من السنة، عندما تتجرد كل شجرة من فاكهتها، من حيث جلبت هذا العنب الناضج.

فاوستس: لو سمحتم سموكم، إن السنة مقسمة إلى دائرتين في العالم أجمع، بحيث عندما يكون عندنا الشتاء في الدائرة المقابلة يكون 25 عندهم الصيف، كما في الهند ومملكة سبأ وأمثال تلك البلاد، الواقعة في الشرق الأقصى، حيث تكون الفواكه عندهم مرتين في السنة. من هناك، بوساطة روح خفيفة عندي، جلبت هذا العنب، كما ترون. الدوقة: وصدقني، إنه أحلى عنب ذقته في حياتي.

[المهرجان يطرقان البوابة من الداخل]

الدوق: من المزعجون الوقحون هؤلاء عند البوابة؟ اذهبوا وهدئوا هياجهم. افتحوا البوابة، ثم اسألوهم ما الذي يريدون.

[يطرقون ثانية وينادون في طلب الكلام مع فاوستس]

خادم: [ينادي من خارج المسرح] هيه، هوه، يا سادة، ما هذه الضوضاء!

لأي سبب تزعجون الدوق؟

دك: [من خارج المسرح]

لا سبب لدينا لذلك، ولهذا لا قيمة له! (90)

خادم: هيه، يا أوباش وقحين، هل تتجراون هكذا؟

تاجر الخيول: [من خارج المسرح] أمل يا سيدي، أن يكون لنا كفاية من جراءة أكثر من هذا الترحيب بنا.

خادم: يبدو هكذا، أرجوكم تجرأوا في مكان آخر،

ولا تزعجوا الدوق.

الدوق: ما الذي يريدون؟

- 45 خادم: جميعهم يصرخون في طلب الكلام مع الدكتور فاوستس.
الحوذي: بلى، ويجب أن نتكلم معه.
الدوق: صحيح يا سيّد؟ (91) أدخل الأوغاد.
دك: [من خارج المسرح] يدخل معنا؟ الأحسن له أن يدخل مع أبيه من أن يدخل معنا.
فاوستس: أرجو من سموكم أن تسمحوا لهم بالدخول.
- 50 فهم موضوع جيد للتسلية.
الدوق: افعل ما تشاء يا فاوستس، أعطيك الإذن.
فاوستس: أشكر سموكم.
[الخادم يفتح البوابة ويدخل المهرّج روبن، دك، الحوذي، وتاجر الخيول] هيه، كيف حالكم الآن، يا أصدقائي الطيبين؟
حقاً أنتم صخّابون ولكن تعالوا واقترّبوا؛
لقد استحصلتُ العفو لكم. مرحباً بالجميع!
- 55 روبن: لا، سيّد، رحبوا بنا مقابل نقودنا، وسندفع مقابل ما نأخذ – هيه، هوه، أعطونا نصف دزينة بيرة هنا، ولتأخذكم المشنقة.
فاوستس: لا، اسمعني، هل تقدر تقول لي أين أنت؟
الحوذي: إي، وحياتها، أقدر. نحن تحت السماء.
- 60 خادم: بلى، ولكن يا مخزن الوقاحة (92)، هل تعلم في أي مكان؟
تاجر الخيول: بلى، بلى، الدار مناسبة لنشرب فيها.
يا جروحّه، املاً لنا شيئاً من البيرة، وإلا سنكسر جميع البراميل في الدار ونحطّم رؤوسكم جميعاً بقنانيكم.
فاوستس: لا تكن بهذا الهياج، تعال، ستأخذ بيرة.
- 65 مولاي، أرجوكم أعطوني بعض الوقت
أراهن بكل ما عندي أنها ستعجب سموكم.
الدوق: بكل سرور، عزيزي الدكتور، اعمل ما يروق لك.
خدّمنا وبلاطنا تحت أمرك.
- 70 فاوستس: بتواضع أشكر سموكم – إذن هاتوا شيئاً من البيرة.
تاجر الخيول: بلى، وحياتها، هنا تكلم دكتور حقيقي، وقسماً، سأشرب نخب ساقك الخشبية لقاء ذلك الكلام.
فاوستس: ساقى الخشبية؟ ما الذي تعنيه بذلك؟

- 75 **الحوذي:** ها، ها، ها! أسمعها يا دك؟ لقد نسي ساقه.
تاجر الخيول: بلى، بلى، هو لا يعول كثيرا على ذلك.
فاوستس: لا، والحق، لا يهتم كثيرا بساق خشبية.
الحوذي: يا ربنا، كيف صارت ذاكرة سيادتك بهذا الضعف!
 ألا تتذكر تاجر خيول
 بعث له حصانا؟
- 80 **فاوستس:** بلى، أتذكر أنني بعثُ أحدا حصانا.
الحوذي: وهل تتذكر أنك أمرته بالألا يدخل به
 إلى الماء؟
فاوستس: بلى، أتذكر ذلك جيدا.
الحوذي: ثم ألا تتذكر شيئا عن ساقك؟
فاوستس: لا والحق.
- 85 **الحوذي:** إذن أرجوك تذكر انحناءتك للتحية. (93)
فاوستس: [ينحني للتحية] شكرا سيدي.
الحوذي: هذه لا تكفي أرجوك أخبرني بشيء.
فاوستس: وما ذاك؟
الحوذي: هل تبقى ساقك معا كل ليلة؟ (94)
- 90 **فاوستس:** أتريد أن تجعل مني «كولوسوس» العملاق (95)
 فتسألني مثل هذه الأسئلة؟
الحوذي: أبدا، صدقا، سيدي وأنا لا أريد أن أجعل منك شيئا. (96)
 ولكنني أريد معرفة ذلك.
 [تدخل المضيفة بالشراب]
- 95 **فاوستس:** اذن، أوكد لك حتما هما معا.
الحوذي: أشكرك، أنا مقتنع تماما.
فاوستس: ولكن لماذا تسأل؟
الحوذي: لا لشيء سيدي، بل أظن أن واحدة من ساقيك
 لا بد أن تكون خشبية.
تاجر الخيول: هيه، هل تسمع، سيدي؟ ألم أنتزع واحدة
 من ساقيك عندما كنت نائما
فاوستس: ولكنني استعدتها الآن وقد استيقظت انظر هنا سيدي.
 [يكشف لهما عن ساقيه (97)]

الجميع: يااللفظاعة! هل كان للدكتور ثلاث سيقان؟
الحوذي: هل تذكر، سيدي، كيف خدعتني وأتيت
على حمولتي من الـ -

105

[فاوستس يسخره فيصير أبكما]

دك: هل تذكر كيف جعلتني أبدو بوجه قر-

[فاوستس يسخره فيصير أبكما]

تاجر الخيول: أنت يا ابن العاهرة يا ندلا ساحرا، هل تذكر
كيف خدعتني بحص -

[فاوست يسخره فيصير أبكما]

روبن: هل نسييتي؟ تظن أنك ستعبرها بخز عباتك. (98)
هل تذكر وجه الك -

[فاوستس يسخره فيصير أبكما. يخرج المهرجان]

110

المضيفة: من يدفع ثمن البيرة؟ اسمعني يا سيد دكتور،
الآن وقد طردت ضيوفي، أرجوك من سيدفع لي ثمن بير-

[فاوست يسخرها فتصير بكما]

[تخرج المضيفة]

الدوقة: [للدوق] مولاي،

نحن مدينون جدا لهذا الإنسان العالم.

الدوق: ونحن كذلك، سيدتي، وهو ما سنكافئه

115

بكل ما يسعنا من حب وطيب.

فألاعيبه البارعة تطرد كل الأفكار المحزنة.

[يخرجون]

1-5

[رعد وبرق. يدخل شياطين بصحون مغطاة،

يقودهم مفيستوفيليس إلى مكتب فاوستس

ثم يدخل فاكنر]

فاكنر: أعتقد أن سيدي على وشك أن يموت.

فقد أعدّ وصيّته وأعطاني كلّ ثروته:

داره، مُقتنياته، وخزانة من الأواني الذهب،

إضافة إلى ألفي «دوكات» جاهزة نقداً.

5

يا ترى ما الذي يقصد. إذا كان الموت وشيكاً،

فلن يكون بمثل هذا المَرَح. هو الآن على العشاء

مع السادة العلماء، حيث يوجد من شهّي الأَطعمة

ما لم يرَ «فاكتر» مثله في حياته.

وانظر، ها هم قادمون يظهر أن الوليمة انتهت.

[يخرج فاكتر. يدخل فاوستس ومفيستوفيليس

مع اثنين أو ثلاثة من العلماء]

10

العالم الأول: سيدي دكتور فاوستس، منذ نقاشنا حول

السيدات الجميلات – أيهن الأكثر جمالاً في العالم – كُنّا

قد قرّرنا مع أنفسنا أن هيلين الإغريقية كانت

السيدة الأكثر إثارة للإعجاب بين الأحياء، لذا،

يا سيدي الدكتور لو تلطّفتم بعظيم الفضل وأتحمّم لنا

رؤية تلك السيدة الإغريقية التي لا مثيل لها

والتي يتغنّى العالم أجمع بجلالها، لحسبنا أنفسنا

15

مدينين إليك كثيراً.

فاوستس: يا سادة،

لأنّي أعلم أن صداقتكم ليست زائفة،

فليس من عادة فاوستس أن يُنكر الطلب العادل

20

من أولئك الذين يرجون له الخير:

سوف ترون تلك السيدة الإغريقية الفريدة،

ليس لغير الأبّهة والجلال

عبر «باريس» الكبير معها البحار

وجلب الأسلاب إلى «داردانيا» (99) الغنيّة

25

فاصمتموا إذن، لأنّ الخطريكمُن في الكلمات

[مفيستوفيليس يذهب إلى الباب. تُعزّف الموسيقى.

مفيستوفيليس يُدخل هيلين. تمرّ عبر المسرح]

العالم الثاني: هل كانت هذه هيلين الجميلة، التي قَدَرُها العجيب
جَعَلَ الإغريق في حروب عشر سنين تدمر طروادة المسكينة؟
العالم الثالث: معرفتي أبسط من أن تستطيع وصف قَدَرها،
تلك التي يتغنى العالمُ أجمع بجمالها.

30

العالم الأول: الآن وقد شاهدنا مفخرة الطبيعة،
سنستأذن للذهاب، ولهذا المشهد المبارك
ليسعد فوستس ويتبارك إلى الأبد.

فاوستس: وداعا يا سادة، أتمنى لكم مثل ذلك.

[يخرج العلماء. رجلٌ عجوز يدخل]

العجوز: يا فوستس الطيب، اترك هذا العلم اللعين،

35

هذا السحر، الذي سيودي بروحك إلى الجحيم
ويحرمك تماما من النجاة!

ولو أنك الآن قد أسأت كإنسان،

لا تداوم عليه كشیطان.

ولكن، مع ذلك، لديك روح صافية،

40

لو لم تنقلب الخطيئة بالعادة إلى طبيعة ثانية.

إن، يا فوستس، لو جاء الندم متأخرا جدا؛

عندها ستكون مُبَعدا عن رؤية الجنة،

ولا أحد يقدر أن يصف آلام الجحيم.

قد تكون نصيحتي هذه

45

مما يبدو قاسيا وغير مستساغ. لن تكون ذلك،

لأنه، يا بُنَيَّ العزيز، أنا لا أتكلم عن غضبٍ

أو كراهية لك، بل عن محبة خالصة

وإشفاق حول تعاستك المُقبلة،

لذا فليكن لنا أملٌ أن هذا التائب الناعم

50

إذ يلمس منك الجسد، قد يصلح منك الروح.

فاوستس: أين أنت، يا فوستس؟ أيها التعيس ما الذي فعلت؟

الجحيمُ تُطالبُ بحقها، وبصوتٍ هادر

تقول تعال يا فوستس! قد أزلت ساعتك تقريبا.

[مفيستوفيليس يسلمه خنجراً]

وفاوستس سيأتي الآن لينفذ المطلوب.

[فاوستس يستعد لطعن نفسه]

55 العجوز: آه، توقف، يا فاوستس الطيب، كَفَّ عن خُطواتك اليائسة!

أرى ملاكا يحوم فوق رأسك،

وبيده حُقّ مملوء بنعمة نفيسة.

يحاول أن يسكبها في روحك.

إذن اطلب الرحمة وتجنّب اليأس.

60 فاوستس: يا صديقي، أحسّ بكلماتك تُهدّي روحي المحزونة.

اتركني قليلا لأفكّر في خطاياي.

العجوز: يا فاوستس، سأتركك، ولكن بقلبي محزون،

خائفا من عدوّ روحك العائرة.

[يخرج العجوز]

فاوستس: يا فاوستس اللعين، أيها التّعيس، ما الذي فعلت؟

65 أنا نادم، ومع ذلك أنا يائس.

فالجحيم والنعمة تصطرعان في صدري في سبيل الغلبة.

ما الذي أستطيع فعله لتحاشي فخاخ الموت؟

مفيستوفيليس: فاوستس، أيها الخائن، سأقبض على روحك

لتمرّدك على سلطاني الأعلى.

70 تمرّد، وإلاّ قطعْتُ جسّدك إربا إربا.

فاوستس: أنا نادم فعلا إذا كنت قد أسأت إليه يوما.

عزيزي مفيستوفيليس، تضرّع إلى مولاك

ليغفر لي جرأتي الطائشة،

وبدمي ثانية سوف أوكد

75 العهد السابق الذي عقّدته مع إبليس.

مفيستوفيليس: افعلها إذن، يا فاوستس، بقلبي غير زائف،

لئلا تنزل أخطارَ أعظم بمسيرتك.

[فاوستس يجرح ذراعه ويكتب بدمه]

فاوستس: عدّب، يا صديقي العزيز، ذلك العجوز الوضيع

الذي تجرّأ وأبعدني عن إبليسك،

80 بأعظم العذاب الذي تملكه جحيماً.

مفيستوفيليس: إيمانه عظيم. لا أقدر أن ألمس روحه.

ولكن ما قد أنزله بجسده
سأحاوله، وهو ليس بالشيء الكبير.

فاوستس: دَعْنِي أَطْلُبُ مِنْكَ شَيْئًا وَاحِدًا، يَا صَاحِبِي الْعَزِيزُ،

85

أَنْ تُشْبِعَ التَّشَوُّقَ فِي رَغْبَةِ فَوَادِي

مِمَّا أَكُنَّ تَجَاهَ حَبِيبَتِي،

تِلْكَ السَّمَاوِيَّةَ هِيلِينَ، الَّتِي رَأَيْتُهَا أَخِيرًا،

وَالَّتِي قُبُلَاتُهَا قَدْ تَطْفَأُ تَمَامًا

تِلْكَ الْأَفْكَارَ الَّتِي قَدْ تَحِيدُ بِي عَنْ وَعْدِي،

90

لِكِي أَحَافِظَ عَلَى الْعَهْدِ الَّذِي قَطَعْتَهُ مَعَ إِبْلِيسَ.

مَفِيسْتُوفِيلِيسُ: هَذَا، أَوْ أَيُّ شَيْءٍ آخَرَ يُرِيدُهُ صَاحِبِي فَاوستس،

سَوْفَ يَتِمُّ تَنْفِيزُهُ فِي طَرْفَةِ عَيْنٍ

[تَدْخُلُ هِيلِينَ ثَانِيَةً، يَقُودُهَا مَفِيسْتُوفِيلِيسُ، تَمَرُّ بَيْنَ كِيُوبِيدِينَ اثْنَيْنِ]

فَاوستس: هَلْ كَانَ ذَلِكَ هُوَ الْوَجْهَ الَّذِي أُشْرِعَ أَلْفَ سَفِينَةٍ

وَأَحْرَقَ أَبْرَاجَ «إِلْيَوْمِ» (100) الشَّاهِقَةَ؟

95

يَا هِيلِينَ الْجَمِيلَةَ، اْمْنَحِينِي الْخُلُودَ بِقُبْلَةٍ.

[يَتَعَانِقَانِ]

شَفَتَاهَا اْمْتَصَّتَا رُوحِي. انظروا كيف تطير!

تعالى يا هيلين، أعيدى إليّ رُوحِي.

[يَتَعَانِقَانِ ثَانِيَةً]

هنا سوف أقيم، لأن الجنة في هاتين الشفتين،

وكلّ شيء جُفَاءً ما لم يكن هيلينا.

100

سوف أكون «پاريس» ومن أجل حُبِّكَ

بدل «طروادة» سوف تُنهبُ «قتنبرك»،

ولسوف أصارع «مينيلاوس» (101) الضعيف،

وأترين بألوانك فوق ريشات تاجي.

بلى، سوف أجرحُ «أخيليس» (102) في كعبه

105

ثم أعودُ إلى هيلين لأخذ قبلة.

آه، أنت أحلى من نسيم المساء،

مُسْرَبَلَةٌ بِجَمَالِ أَلْفِ نَجْمَةٍ.

أكثر توهجًا أنت من كوكب المشتري اللاهب

عندما ظهر أمام «سيميلي» (103) سيئة الحظ،
أكثر جمالا من ملك السماء

في أحضان «آريثوسا» (104) اللعوب اللازوردية؛
ولا أحد سواك ستكون حبيبتي.
[يخرجون]

2-5

[رعد. يدخل إبليس، ورئيس الشياطين، ومفيستوفيليس،
في أعلى المسرح]

إبليس: وهكذا من جهنم العالم السفلي نصعدُ
لنرى رعايا مملكتنا،
تلك الأرواح التي تَخْتُمُهَا الخَطِيئَةُ خَتَمَ أبناء الجَحِيمِ السود،
والأولُ بينهم، فاوستس، نأتي إليك،
5 حاملين معنا لعنة أبدية
تكمُنُ في انتظار روحك . لقد آن الأوانُ
لنستولي عليها.
مفيستوفيليس: وهذا الليل الكئيب
في هذه الغرفة سيبقى فاوستس التعيس.
رئيس الشياطين: وهنا سوف نبقي
10 لنراقبه ونرى كيف يتصرف.
مفيستوفيليس: وكيف يتصرف، إلا بجنون يائس؟
مُحِبٌّ دنيا أحمق، الآن دَمُ قلبه يجفّ بالحُزن،
فيقتله ضميرُهُ، وقلبه المرهق
يلدُ عالما من خيالات عقيمة
15 لكي يتخطى الشيطان. لكن كلّ ذاك عَبَثٌ.
وخزينُهُ من المسرّات يجب أن يُطَيَّبَ بالألم.
هو وخادمه فاكنر يقتربان،

وكلاهما قادمان من كتابة وصية فوستس الأخيرة.
انظر من أين يأتيان.

[يدخل فوستس وفاكنر]

20

فوستس: قل لي، يا فاكنر، هل راجعت وصيتي؟
كيف تجدها؟

فاكنر: سيدي، ممتازة بشكل عجيب،
إذ بكل واجب التواضع أقدم
حياتي وخدمتي الدائمة لقاء محبتك.

[يدخل العلماء]

فوستس: شكرا، شكرا، يا فاكنر – مرحبا يا سادة.

[يخرج فاكنر]

25

العالم الأول: والآن يا فوستس العزيز، أظن أن ملامحك
قد تغيرت.

فوستس: آه يا سادة.

العالم الثاني: ما الذي يؤلم فوستس؟

فوستس: آه يا رفيقي! لو بقيتُ أسكنُ معك،

30

لَعِشْتُ في هدوء، لكن الآنَ يَجِبُ أن أموت.

إلى الأبد. انظروا يا سادة، ألم يأتِ؟

ألم يأتِ؟

العالم الأول: آه يا عزيزي فوستس، ما معنى هذا الخوف؟

العالم الثاني: هل تحولت جميع مسراتنا إلى أحزان؟

35

العالم الثالث: [للاخرين] هو غير مرتاح بسبب وحدته الشديدة.

العالم الثاني: إذا كان الأمر كذلك، فسنبجل الأطباء

وسوف يشفى فوستس.

العالم الثالث: [إلى فوستس] إنها نُخْمَةٌ وَحَسْبُ، يا سيدي. لا تخش شيئا.

فوستس: نُخْمَةٌ بِخَطِيئَةٍ مُمِيتَةٍ، أنزلت اللعنة

40

بالجسد مني والروح.

العالم الثاني: ومع ذلك، يا فوستس، تطلع إلى السماء،

وتذكر أن الرحمة لا حدود لها.

فوستس: لكن إساءة فوستس لا يمكن أن تُغْتَفَرَ. الأفعى

التي أغوت حواء يمكن أن تُخَلَّص، لكن ليس فوستس.

45

يا سادة اسمعوا بصبر ولا ترتعدوا لأقوالي ولو أن قلبي يخفق ويرتعش عندما أذكر أنني كنت هنا طالب علم لثلاثين سنة، آه، ليتني لم أر «فيتنبرك» ولم أقرأ كتاباً قط! وما صنعت من أعاجيب، جرمانيا

50

بأجمعها يمكن أن تشهدها، بلى، والعالم أجمع، من أجلها خسر فوستس كلا جرمانيا والعالم، بلى، والجنة نفسها – الجنة، مجلس الله، عرش المباركين، مملكة الفرح – ويجب أن يبقى في الجحيم إلى الأبد. الجحيم، آه، الجحيم إلى الأبد! أصدقائي الأحباء، ما الذي سيجري لي، وأنا في الجحيم إلى الأبد؟ العالم الثاني: مع ذلك يا فوستس، الجأ إلى الله.

55

فوستس: إلى الله الذي أنكره فوستس؟ إلى الله الذي جدد به فوستس؟ آه، يا إلهي، أريد أن أبكي لكن الشيطان يرجع دموعي. يدفق الدم بدل الدموع، بلى، حياة وروحا آه، إنه يوقف لساني! أريد أن أرفع يدي، لكن أنظر، إنهما يمساكنهما، إنهما يمساكنهما.

60

الجميع: من، يا فوستس؟ فوستس: هما، إبليس ومفستوفيليس، آه يا سادة، أعطيتهما روعي مقابل معارفي. الجميع: لا قدر الله!

65

فوستس: الله لم يقدرها فعلا، لكن فوستس فعلها، لقاء المتعة الزائفة لأربع وعشرين سنة قد خسر فوستس الفرح والسعادة الأبديتين. كتبت لهما

70

عهدا بدمي أنا، وانتهى أجله. الآن سيأتي ليأخذني. العالم الأول: لماذا لم يخبرنا فوستس بهذا من قبل، لأستطاع أهل الدين أن يصلوا لك؟ فوستس: كثيرا ما فكرتُ بفعل ذلك، لكن الشيطان هدد أن يمزقني إربا إن أنا ذكرتُ اسم الله، أن يأخذني جسدا وروحا لو استمعتُ مرةً لأهل الدين. والآن فات الأوان، يا سادة، غادروا، وإلا هلكتم معي. العالم الثاني: آه، ما الذي نقدر أن نفعله لننقذ فوستس؟

75

فاوستس: لا تتكلموا عني، بل انقذوا أنفسكم وغادروا.
العالم الثالث: الله سيُقَوِّني، سأبقى مع فاوستس.

80

العالم الأول: [للتالث] لا تتحدَى الله، يا صديقي العزيز،
بل دَعْنَا ندخُل إلى الغرفة المجاورة ونصلِّي له.
فاوستس: بلى، صلُّوا لأجلي، صلُّوا لأجلي! وأيما صوتٍ
تسمعون، لا تأتوا إليّ، إذ لا شيء يُمكن أن يُنقِذني.
العالم الثاني: أنتَ صلِّ ونحنُ سنُصلِّي لعلَّ الله يُنزلُ رَحْمَتَهُ عَلَيْكَ.
فاوستس: وداعا يا سادة. لو عِشْتُ حتى الصباح،
سأزورُكم، وإلا فإن فاوستس قد ذهب إلى الجحيم.
الجميع: فاوستس، وداعاً.

85

[يخرج العلماء]

مفيسستوفيليس: بلى، يا فاوستس، الآن لا أمل لك في الجنّة،
لذا أياُس، فكَر في الجحيم وحَسب،
لأن تلك ستكون مأواك، وهناك تُقيم.
فاوستس: أيها الشيطانُ الساحر، إنّه إغواؤك
الذي سلَبني السعادةَ الأبدية.

90

مفيسستوفيليس: أَعترفُ بذلك وأبتهجُّ.
ذاك أنا، عندما كنت في الطريق إلى الجنّة،
الذي عَتَمَ طريقك، عندما تناولت الكتاب
لتنظرَ في الأناجيل، أنا قلبتُ الصفحات
وظللتُ عينك.

95

ما هذا؟ أتبكي؟ فات الأوان. أياُس، وداعاً.
الحمقى الذين يضحكون على الأرض يجبُ بأن يبكوا في الجحيم.
[يخرج مفيسستوفيليس. يدخل ملاك الخير

وملاك الشر من بابين مختلفين]

ملاك الخير: يا فاوستس، لو أنك استمعتَ إليّ،
لتبعتك أفرأح لا عدَد لها.
لكنك أحببت العالم.

100

ملاك الشر: أنتَ استمعتَ إليّ،

والآن يجب أن تذوقَ آلامَ الجحيمِ إلى الأبدِ.
ملاك الخير: آه، ما الذي جميعُ ثرواتك، ومسراتك، ومفاخرِك
ستفيدُك الآن؟

105
ملاك الشر: لا شيء سوى أن تُغيظك أكثر،
بأن تُريدَ في الجحيمِ ما كان لديكَ منه على الأرض الكثيرِ.
[موسيقى في أثناء نزول العرش]
ملاك الخير: آه، لقد خسرتَ السعادةَ السماويةَ،

110
مسراتٍ لا توصف، سعادةً بلا نهاية
لو أنك آثرتَ الجانبَ الإلهيَ الجميلَ
لما كان للجحيمِ أو للشيطانِ أي قوة عليكِ.
ولو أنك واطبتَ على ذلك الطريقِ، يا فاوستس،
انظر في أيِّ مقامٍ رائعٍ كنتَ أقمتَ
في ذلك العرشِ، مثل أولئك القديسين المتوهِّجين نورا،
وانتصرتَ على الجحيمِ. ذلك ما قد خسرتَه.
والآن، أيتها الروحُ التعيسة، ملاك الخير يجب أن يترككِ.
أفواه الجحيمِ فاعرةٌ لاستقبالكِ.

115
[يرتفعُ العرشُ. يخرجُ ملاكُ الخيرِ. تنكشفُ الجحيمِ]
ملاك الشر: والآن، يا فاوستس، دَعْ عَيْنِيكَ تُحدِّقانِ برُعبِ
في دارِ العذابِ الشاسعةِ الأبديةِ هذه.

120
ثمَّةُ أرواحٍ انتقامٍ تُقلِّبُ الأرواحَ الملعونةَ
على أسياخٍ مُلتهبةٍ، أجسادُها تغلي في الرصاصِ المُذابِ.
وثمَّةُ أرباعٍ أجسادٍ حيَّةٍ تُشوى على الجمرِ،
لا يمكن أن تموتِ. وهذا المقعدُ الملهبُ أبداً
معدُّ للأرواحِ التي زادَ تعذيبُها لتستريحَ فيهِ.
تلك التي تُلقمُ كتلاً من النارِ الملهبةِ

125
هم الشرهون، الذين لم يُحبِّبوا سوى أطيبِ الطعامِ.
وكانوا يضحكون إذ يرونُ الفقراء يموتون جوعاً عند أبوابهمِ.
ولكن هذا كله ليس بالكثيرِ. فلسوف ترى
عشرة آلاف نوعٍ من العذابِ أكثرَ من هذه فظاعةِ.
فاوستس: آه، لقد رأيتُ ما يكفي لتعذبي!
ملاك الشر: كلا، يجبُ أن تُحسَّ بها، وتذوقَ وجعها جميعاً.

فمن يحبّ السرورَ يجبُ أن يسقطَ في سبيلِ السرورِ.

130

وهكذا أتركك، يا فاوستس، إلى حين؛

وعندها سوف تسقطُ في اضطرابِ التشوّشِ.

[يخرج ملاك الشرِّ. الساعة تدق الحادية عشرة]

فاوستس: يا فاوستس، الآن لم يبقَ لديك، سوى ساعةٍ واحدةٍ هزيلةٍ من الحياة،

وبعدها يجبُ أن تنزلَ عليك اللعنة الأبدية.

135

توقفي ساكنةً، يا أفلاكَ السماءِ الدائرة أبدأ،

لكي يتوقفَ النهارُ ومُنْتَصَفُ الليلِ لا يأتي أبداً!

يا عينَ الطبيعةِ الجميلةِ، انهضي، ارتفعي ثانية، وابعثي

نهاراً أبدياً أو اجعلي هذه الساعةَ تغدو

سنةً، شهراً، أسبوعاً، يوماً طبيعياً،

140

لكي يندم فاوستس ويُنقذَ روحه!

" بطيئاً، بطيئاً، اجري يا خيولَ الليل "

النجومُ ماتزالُ تتحرّكُ، الزمنُ يجري، والساعةُ سوفَ تدقُّ،

والشيطانُ سوفَ يأتي، وفاوستس يجبُ أن تحلَّ عليه اللعنة.

آه، سوفَ أقفزُ إلى السماءِ! من الذي يسحبني للأسفل؟

145

قطرة دم واحدة ستنقذني، آه، يا مسيحي!

لا تمزق فؤادي إذ أدعو مسيحي!

ومع ذلك سوفَ أدعوه، آه، إليك عني يا إبليس!

أين هو الآن؟ لقد توارى،

أرى ذراعاً تُهدد، وحاجباً غاضباً.

150

يا جبلاً وتلالاً، تعالوا تعالوا واسقطوا فوقي،

واحجّبوا عني غضبَ السماءِ الثقيلِ.

لا؟ إذن سأغور في الأرض رأساً على عقب.

انفتحي يا أرض! آه، لا، إنها لن تؤويني.

يا نجوماً أشرقت عند مولدي.

155

نفوذها قدرَ الموتِ والجحيمِ،

الآن ارفعوا فاوستس مثلَ غمامةٍ ضبابيةٍ.

إلى أحشاء تلك الغيمةِ المُثقلةِ (105)

حتى إذا ما أفرغت في الجوّ ما تحتوين،

قد تُطلُّ أطرافني من أفواهك الدخانيةِ،

160

ولكن دعي روعي تصعد وترتقي إلى السماء.

[الساعة تدقّ]

آه، نصف ساعة مرّت! ستمرُّ كلُّها قريبا.
آه، إن كان علي روعي أن تُقاسي بسبب خطيئتي،
فضعي نهايةً لألمي الدائم.

165

ليعيش فاونستس في الجحيم ألف سنة،
مئة ألف، وفي الأخير يُنقذ.

لا نهايةً توضع للأرواح الملعونة.

لماذا لم تكن مخلوقا من دون روح؟

ولماذا الروح التي لديك خالدة؟

يا كتاب «بيتاكوراس» (106) لو كان ذلك صحيحا،

170

لطارت هذه الروح مني لكيما أتغير

إلى وحش بهيم

جميع الوحوش سعيدة، لأنها إذ تموت،

تذوب أرواحها سريعا في عناصر الوجود،

لكن روعي يجب أن تعيش دوما لتُعاقب في الجحيم.

175

ليُلعن الوالدان اللذان أنجباني!

كلّا يا فاونستس، العن نفسك. العن إبليس،

الذي حرّمك من مباحج الجنة.

[الساعة تدق الثانية عشرة]

إنها تدقّ، إنها تدقّ! والآن يا جسد! تحوّل إلى هواء.

وإلا سيحملك إبليس حيا إلى الجحيم.

180

يا روح، تحوّلي إلى قطرات ماء صغيرة،

واسقطي في البحر المحيط، ولنّ توجدي أبدا!

[رعد، ويدخل الشياطين]

آه، رحمة يا سماء، لا تُطلّي عليّ بهذا العنف!

يا صلالا وأفاعي، دعوني أنتفس لبُرهة!

يا جحيما قبيحة، لا تفغري فاك، لا تأت يا إبليس

185

سأحرق كتبي. أوّاه يا مفيستوفيليس

[يخرجون]

3-5

[يدخل العلماء]

العالم الأول: تعالوا، يا سادة، لنذهب ونزور فاونستس،
لأن مثل هذه الليلة المريعة لم تُعرف
منذ أن بدأت خليقة العالم.

5

مثل هذه الزعقات والصرخات لم تُسمع قط.
نرجو السماء أن يكون الدكتور قد نجا من الخطر.
العالم الثاني: عنايتك يا سماء! انظروا، هذه أطراف فاونستس.
مُشنتة جميعا بيد الموت.

10

العالم الثالث: الشياطين الذين خدّمهم فاونستس قد قطعوه هكذا.
لأنه بين الساعة الثانية عشرة والواحدة، حَسِبْتُ
أنني سمعته يزَعقُ ويصيحُ في طلب العون
وفي الوقت نفسه بدا كأنّ الدار كلّها تحترق
برُعبٍ فظيع من هذه الشياطين اللعينة.

15

العالم الثاني: حسنا، يا سادة، مع أن نهاية فاونستس كانت هكذا
وهو ما يحزن له قلب كلّ مسيحي عندما يفكر فيها،
ولكن، بما أنه كان عالما.. وموضع إعجاب يوماً
لمعرفته العجيبة في جامعاتنا الجرمانية،
سنقوم بدفن أطرافه المختلطة بما يليق؛
وجميع الطلبة مُجللون بسواد الحزن،
سوف يسيرون في جنازته المحزنة.

[يخرجون]

[خاتمة]

[يدخل الجوقة]

الجوقة: قُطِعَ العُصْنُ الذي كان يُمكن أن ينمو مستقيماً،
واحترق عُصْنُ غار «أبولو» (107)
الذي ازدهر حيناً في إهاب هذا الرجل العظيم.
غاب فاونستس، تأملوا في سقطته الجهنمية،

فَنصِيْبُهُ الشَّيْطَانِي قَدْ يُحَذِّرُ الْحَكِيمَ.
 أَلَّا يَزِيدَ عَلَى الْعَجَبِ مِنَ الْأَشْيَاءِ غَيْرِ الْمَشْرُوعَةِ
 الَّتِي تُغْوِي أَسْرَارُهَا عَقُولًا جَرِيئَةً
 لِمَمَارَسَةِ أَكْثَرِ مِمَّا تَسْمَحُ بِهِ الْقُوَّةُ السَّمَاوِيَّةُ.

[يُخْرِجُ]

"السَّاعَةُ تَخْتِمُ النَّهَارَ، الْمَوْلَفُ يَخْتِمُ الْعَمَلَ"

هوامش نصّ المسرحيّة

- (1) مُمَثِّلٌ وَاحِدٌ يُمَثِّلُ الْجَوْقَةَ.
- (2) تراسيميني: موقع معركة في إيطاليا عام 217 ق.م حيث انتصر «هانيبال» القرطاجي على الرومان.
- (3) فيتنبرك مدينة في شرق ألمانيا، حيث جامعها كانت مركز البروتستانتية.
- (4) الحجاج: النقاش بالحجة المنطقية.
- (5) جناحاه الشمعيان، إشارة إلى أسطورة «إيكاروس» الذي حاول الطيران عاليا بجناحين مثبتين بالشمع، فلما ارتفع فوق طاقته ذوّبت الشمس شمّع الجناحين فسقط في البحر.
- (6) النعمة الأكبر هي «الخلاص» من العذاب بالمعنى المسيحي.
- (7) أرسطو (384-322 ق.م) الفيلسوف الإغريقي، تلميذ أفلاطون وصاحب كتاب «المنطق».
- (8) «الوجود والعدم» كناية عن دراسة الفلسفة، جالينوس *galen* الطبيب الرومي المشهور (129-200م).
- (9) جستنيان: الإمبراطور البيزنطي (482-565م) صاحب «مجموعة القوانين المدنيّة».
- (10) ترجمة «جيروم» للكتاب المقدس، باللاتينية، النصوص المعتمدة للدين المسيحي من القرن السادس حتى عصر الإصلاح البروتستانتي.
- (11) «يويپيتر» *Jupiter* أو *Jove* كبير الآلهة في الميثولوجيا الإغريقية.
- (12) العناصر، هي عناصر الحياة الأربعة: التراب، الماء، الهواء، النار.

- (13) أمير پارما، الحاكم العام الإسباني في الأراضي المنخفضة، سُتم في إنكلترا في عصر البروتستانتية.
- (14) «موزائيوس» شاعر أسطوري جاء إلى الجحيم فتقاطرت لسماع شعره الأرواح الجهنمية، كما تقاطرت لسماع «أورفيوس» المغني الشهير.
- (15) «آكريبا» (1535-1485) ساحر شهير.
- (16) «لايلاند» لا يعرف عن وجود «عمالقة» في «لايلاند» وقد تكون من خيال المؤلف.
- (17) الجزء الذهبية أسطورة إغريقية عن كبش له جزء ذهبية، كان على البطل «جيسن» أن يبحث عنها لكي يتّوج ملكا.
- (18) فيليب العجوز، ملك إسبانيا، فيليب الثاني (1598-1527).
- (19) الخيمياء، هي علم الكيمياء القديمة التي تزعم تحويل المعادن الخسيسة إلى ذهب، بأساليب السحر والشعوذة.
- (20) «دلفي» مهبط الوحي على جبل أوليمبوس في الأساطير الإغريقية.
- (21) «بيكون» و«البانوس» ساحران مشهوران من القرن الثالث عشر.
- (22) «هذا لا يتبع» فاكتر يحاكي لغة فاوستس في الحجاج المنطقي.
- (23) «مُتخرّجا» أي أكملت الدراسة في «فتنبرك» وتخرّجت عالما بالمنطق.
- (24) «موقع التنفيذ» تورية على «تنفيذ حكم الإعدام» كأنه يريد: الاقتراب من موقع وجود فاوستس سيؤدي إلى الموت، في مجلس طعامه!
- (25) «متشدّد في الدين» يقصد «بيوريتاني» أي من أتباع «المصلحين الطهريين».
- (26) تلاعب بالألفاظ في صيغ بلاغية.
- (27) «فرانسيسكاني» من الرهبان الفرانسيسكان الذين يسخر منهم المؤلف.
- (28) «مع الفلاسفة القدامى» أي حيث يناقش الأقدمون الفلاسفة في عالم أسطوري، لا من موقع العذاب للخُطاة في المفهوم المسيحي.
- (29) الإمبراطور، هو الإمبراطور الرومي تابع الكنيسة الكاثوليكية.
- (30) «لعنة الله» هي مما يتكرر في لغة المهرجين في المسرحية، وفي العامية.
- (31) مداخيل، أي دخول وأرباح، مخاريج، لأن أكتاف المتكلم الفقير خارجة من قميصه.
- (32) تورية على نوع من مبيدات الحشرات.
- (33) «أليفة» صفة للشياطين التي تلازم الإنسان، هنا إشارة إلى القمل.
- (34) الدراهم الذهب guilders.
- (35) «الخلاص» salvation أي الخلاص من الخطايا، والذنوب بالتوبة.

- (36) «إيمدن» مركز تجاري كبير في ألمانيا.
- (37) «قد أكمل» كلمات المسيح الأخيرة على الصليب (إنجيل يوحنا، 19، 30).
- (38) «يا إنسان اهرب» (رسالة تيموثاوس الأولى، 11/6) تجديف آخر.
- (39) «بنلوبه» زوجة «يوليسيس» المشهورة بعفتها وإخلاصها.
- (40) لغة العامة والابتذال، يصعب نقلها بدقة.
- (41) لصق القرون على رأس الرجل تجعل منه «ديوثا» أي «قوادا» في التراث.
- (42) «سيدتنا عملت هذا» أي زوجته خاتمه، فجعلت منه «ذي قرون».
- (43) «أوينونه» زوجة الإسكندر (باريس) التي هجرها واختطف «هيلين».
- (44) إشارة إلى الموسيقي الأسطوري «أمفيون» الذي بُنيت أسوار طيبة على موسيقاه.
- (45) السماوات العُلى، الفلك الأعلى *empyrean orb*
- (46) «برغوثة أوقيد» عنوان قصيدة تنسب إلى الشاعر الرومي «أوقيد».
- (47) واضح من أسماء الطعام والشراب أنها أجداد «الشَره».
- (48) «إصبع من اللحم الحي» إشارة بذيئة إلى عضو الذكر.
- (49) الزامر، الذي يقود الخطايا السبع بمزمارة.
- (50) أوليمبوس، هو الجبل المقدس في بلاد الإغريق، مهبط الإلهام الإلهي.
- (51) «المُحرَّك الأول» الفلك الأعلى، السماوات العُلى.
- (52) «ترير» مدينة «تريفيس» في بروسيا.
- (53) «مارو» هو «فرجيل» الشاعر الرومي (70-19 ق.م) الذي كان يُعدُّ ساحرا في التراث القروسطي، وقرب ضريحه يوجد نفق في النتوء الجبلي قرب نابولي، يُظنُّ أن الشاعر الساحر فتحه في ليلة واحدة بسحره.
- (54) كنيسة القديس مرقس في البندقية.
- (55) جسر آنجيلو، أو جسر الملاك.
- (56) المسلات في الأصل (أهرام) وهي في الواقع مسلات.
- (57) «ستيكس» و«أشيرون» نهران في الجحيم، يناسب فاوستس القسَم بهما.
- (58) انتصار البابا «أديان» على «برونو» الذي عينه الإمبراطور بابا.
- (59) الكيان الوهاج، أي الجسد.
- (60) بطرس، هو شمعون، من تلاميذ المسيح، وكان شديدا قويَّ الإيمان، سمَّاه المسيح «صفا» أي الصخر، الصوان، وهو الذي أدخل المسيحية إلى أوروبا بوقوفه على «صخرة» الفاتيكان، وهي التلة، و«بيتروس» باللاتينية تعني الصخرة.
- (61) «بأقدام من الصوف» أي خلصة، لكن الانتقام الإلهي ليس نائما كما يبدو.

- (62) «تريينت» مقر مجلس الكنيسة الكاثوليكية الذي دام بين 1545 و1563.
- (63) برج الكنيسة بالغ العلو، رأسه بالسماء كمن يطل على مَنْ تحته.
- (64) فريديريك، الإمبراطور الرومي الذي اختلف معه البابا (أديان) ثم انتصر عليه وأسر البابا .
- «برونو» الذي عينه الإمبراطور.
- (65) «الوَحش القاتل» *basilisk* وَحش خرافي نظرته قاتلة.
- (66) «نكسر الختم أو نختم» بالشمع الأحمر على قرار صادر، للتنفيذ أو الإلغاء.
- (67) المجلس الكنسي، قاعة المداولات في الشؤون الكنسية في قصر البابا.
- (68) المارقين والمنشقين، البروتستانت، وبخاصة أتباع «ويكيليف» المصلح الإنكليزي الديني في القرن الرابع عشر.
- (69) الهرطقة: الخروج على الدين، الكاثوليكي في مفهوم البابا.
- (70) الكواكب السبعة، المعروفة في القرون الوسطى الأوروبية، قبل «نبتون» و«بلوتو».
- (71) بلوتو، الكوكب التاسع ذو اللمهيب الأزرق، «هيكاته» إلهة السحر في الأساطير الإغريقية ولا يُعرف أن لها شجرة *tree* وقد تكون الكلمة *three* أي ثلاثة، لأن صورتها تمثل إلهة ثلاثية، للسماء والأرض وجهنم.
- (72) آبقين، *lollards* خارجين على الكتلكة، بروتستانت.
- (73) جرس وكتاب وشمعة، العدة التقليدية لإصدار اللعنة أو التحريم الكنسي.
- (74) تكذب، لأن الكأس ليست «بين» الاثنين، بل «أمامهما».
- (75) ارسم لي دائرة، أي دائرة السحر التي تُرسم على الأرض تمهيدا لعمل السحر.
- (76) «كارولوس العظيم» الإمبراطور جارلس الخامس (1519-1556).
- (77) «مُثلث المعرفة» تجديف على «مُثلث الرحمات» باسم الآب والابن والروح القدس: البابا.
- (78) «أقسِم بدمه» أي بدم المسيح *sblood* تخفيفا من *his blood*، قسَم وتجديف.
- (79) «أكتانيون» الصياد في الأسطورة الإغريقية الذي رأى «دايانا» إلهة العفاف والقمر تستحم في البحر وهي عارية فعاقبته الآلهة بتحويله إلى وعل تلاحقه كلابه.
- (80) «داريوس» الإمبراطور الفارسي (550-486 ق.م) هو غير داريوس الثالث الذي غلبه الإسكندر المكدوني عام 331 ق.م.
- (81) جروحُه، قسَم بجروح المسيح، تخفيفا *zounds*، أي *God's wounds*.
- (82) بيليموث.. أسماء شياطين يستدعيهم فاستس الساحر.

- (83) «الوجوه الناعمة واللفافات» كان العلماء حليقي الذقون يرتدون «اللفافات» حول الرقبة. لكن فاوستس كان ذا لحية، ولا يرتدي اللقاعة.
- (84) ليس لدينا قوة.. لنقاتل، بسبب ما أصابهم.
- (85) المسيح خاطب اللص على الصليب، وبشره بالجنة، وهو ينتظر الموت هادئاً (لوقا 23، 39).
- (86) انتبهوا للقاعة... المضيضة تأمر الخدم لتلبية طلبات من في قاعة الحانة.
- (87) «وحياتها» marry قسما بحياة «مريم» العذراء، تجديف بالقسم.
- (88) كما أني مسيحي، أي أروي لكم صدقا، مثلما أنا مسيحي وليس وثنيا، مثلا.
- (89) زنود الخشب، أعقاب الأغصان الضخمة التي تستعمل للوقود..
- (90) «لا قيمة له» كلمة بذينة في وصف الدوق، يقابلها في اللهجة المصرية «طز».
- (91) «يا سيّد» سخريّة من أحد الأوغاد.
- (92) مخزن الوقاحة saucebox توحى بصفة saucy، لكنها تفيد «القدر».
- (93) «انحناءتك للتحية» الجميع هنا سكارى، والحوذي يخاطب فاوستس، كأنه أدنى منه.
- (94) «معا كل ليلة» أي مثل زوج وزوجة في الفراش bedfellows.
- (95) «كولوسوس» هو تمثال بالغ الضخامة تقف ساقيه على جزيرتين منفصلتين. بحيث تمر السفن من تحتهما في جزيرة رودوس في الإغريق القديمة.
- (96) «لا أريد أن أجعل منك شيئا» تورية على سؤال فاوستس، والحوذي يجاوب بوقاحة، أي أنت «لا شيء».
- (97) يكشف عن ساقيه، برفع أطراف منزره الأكاديمي.
- (98) الخَزَعَبَلات، كلمات لا معنى لها يكررها الساحر في أثناء ممارسة السحر.
- (99) «داردانيا» هي طروادة.
- (100) «إليوم» اسم آخر لمدينة طروادة Troy.
- (101) «مينيلاوس» ملك إسبارطة زوج هيلين الطروادية، من أبطال الحرب الطروادية.
- (102) «أخيليس» من أبطال الحرب الطروادية، والشخصية الرئيسية في «الياذة» هوميروس. نقطة ضعفه في كعبه، فمن يصيبه فيها يقتله، وهكذا كان.
- (103) «سيميلي» فتاة من طيبة أحبها «يويپيتر» كبير الآلهة، ولما ظهر لها بكامل بهائه، احترقت بما أصابها من نار بروقه.
- (104) «أريثوسا» حورية النبع، أو النبع نفسه، لا ذكر لها في المراجع القديمة والأسطورية أن «يويپيتر» ملك السماء، كان على علاقة حب معها.

- (105) الغيمة المثقلة، بالمطر، واضح أن الخطاب تحوّل إلى الغيمة.
- (106) «بيثاكوروس» هو «فيثاغورس» صاحب نظرية مهاجرة الأرواح.
- (107) «أبولو» إله الوحي، مهبطه في «دلفي».. وهو إله الحكمة والمعرفة ورمزها غصن الغار. والصورة توسّع من عند المؤلف.

مقدمة المحرر

يصنع أبطال «كريستوفر مارلو» حظوظهم «بممارسة فضائل قد تجدها الأخلاقيات التقليدية من الرذائل» هذا ما يقوله البروفيسور هاري لقين في كتابه: المتخطي (1952). فمن أول إلى آخر سيرته المختصرة والخاطفة، يبدو «مارلو» وكأنه كان مأخوذاً بتحدّي النظام القائم في أبعاده الكونيّة والإنسانية.

ونجد في هذا، عندما نقرأ أو نشاهد مسرحياته في التمثيل، إبراز ذاتٍ لا تقصّر في الإقدام، ولو أنها في الوقت نفسه عالقة بين الذنب والندم، ومع أننا لا نستطيع تفسير مسرحياته في إطار سيرة ذاتية صرف، فإننا لا نجد بين أصحاب الأدب المسرحي في عصر الانبعاث من يجعلنا أكثر تشوقاً لمعرفة المسرحيّ نفسه، لأن المسرحيات تبدو لنا شديدة الذاتية.

سيرة «مارلو» مغلفة بغموض وخلاف حول امرئ صار سيئ السمعة في زمانه بالذات. فقد ولد في العام 1564، في سنة ميلاد شكسبير، في أسرة لصانع أحذية ووكيل ضمانات مُتَرَف في «كانتربري» وتعلّم في مدرسة الملك *king's School* هناك، ثم التحق بجامعة كمبرج في العام 1580، وأختير لمنحة دراسية أسّسها «ماثيو پاركر» رئيس أساقفة كانتربري، ونال شهادة البكالوريوس في العام 1584. وخلال فترات غياب متطاولة عن الجامعة بين 1581-3 وبعد حزيران (يونيو) 1586 ربما كان يخدم في مهمّة حكومية سرّية، نجد رسالة من «المجلس الاستشاري الملكي» بتاريخ حزيران (يونيو) 1587 موجهة إلى الجامعة، تأمر بمنح «مارلو» درجة الماجستير كالعادة نظراً إلى أنه كان قد أرسل إلى «رايمس» في مسائل تتعلق بمصلحة وطنه. كان سير فرانسيس والزنكام مسؤولاً عن جمع معلومات سرّية حول المؤامرة الكاثوليكية لمصلحة «ماري ملكة الأسكتلنديين» فكان لديه سبب وجيه ليراقب المعهد الكاثوليكي الإنكليزي في «رايمس» وثمة ابن عم لذلك الوزير القوي،

هو «توماس والزنكام» يعمل في الخدمة السرية الحكومية كذلك في عقد 1580، وكان يرعى «مارلو» أيضا. وفي أواخر 1580 كان «مارلو» في لندن، يتمتع بنجاح باهر، مؤلفا مسرحيا وشاعرا. وقد قضى فترة في السجن لاشتراكه في مبارزة قاتلة. وفي أيار (مايو) 1593 أُلقي القبض عليه بأمر من المجلس الاستشاري الملكي يتعلق بتحقيق حول تعدد الديانات وعدم الإخلاص للتاج، ولو أننا لا نعلم مدى خطورة الإساءات التي يحتمل أنه قد اتهم بها شخصيا. وبعد ذلك بقليل، قُتل بشكل عنيف في دار خاصة (أو ربما حانة) في ديتفورد على يد شخص يدعى «إنكرام فرايزر». مع أن الأسباب وراء منازعة «مارلو» الأخيرة قد تكون سياسية – إذ إن أحد مرافقيه ذلك اليوم كان «روبرت پولّي» وهو عميل حكومي ذو سمعة مشبوهة – بيد أن كثيرا من المعلقين على تلك الحادثة المشينة لم يتوانوا أن يروا فيها انتقاما إلهيا، ففي كتابه بعنوان مسرح أحكام الله، يرى البيوريتاني «توماس بيرد» أن موت «مارلو» مثال على "عقوبة الألهاد و اللاتقوى".

مارلن (أي مارلو) العالم المثقف مهنة، قد نشأ منذ شبابه في جامعة كمبرج، وعمليا مؤلف مسرحي وشاعر ذو سفاهة، دفع موهبته بزخم شديد وأرعى العنان لشهوته، فسقط، ليس عن غير استحقاق، في هياج وتطرف بحيث أنكر الله وابنه المسيح، وليس بالكلمة وحدها جَدَّف على الثالوث بل كذلك (اعتمادا على تقارير موثوقة) ألف كتبا ضدها، مؤكدا أن مخلصنا ليس سوى محتال، وأن موسى ليس سوى ساحر ومضلل للناس، وأن الكتاب المقدس ليس سوى حكايات فارغة تافهة، وأن الديانة كلها وسيلة سياسية (ص 8-147).

يرى «بيرد» عدلا إلهيا في حقيقة أن موت «مارلو» كان ذاتي التنفيذ: فقد أمسك برسغ مهاجمه، واستطاع المسرحي أن يطعن خنجره هو (الذي أمسك به فرايزر) برأسه هو. بهذه الطريقة أرغم الله «اليد التي كتبت تلك التجديفات أن تكون وسيلة لعقابه، وفي دماغه، الذي انتحلها». وموت «مارلو» عند «بيرد» مهدب قدر ما هو فظيع: فقد كان يلعن ويجدِّف حتى آخر أنفاسه، ومع آخر رمق كان التجديف يسيل من فمه، فلم يكن ذلك محض علامة واضحة من حكم الله بل كذلك هلعٌ مُريعٌ مخيف لجميع من رأوه.

كان «بيرد» يشير إلى الآراء الشنيعة عند «مارلو» كما وردت في شهادة غير موثوقة من جاسوس يدعى «رجارد بينز» (نشرت في العام 1594) في رسالتين من العام 1593 كتبهما «توماس كيد» الذي كان نفسه تحت التحقيق، بتهمة التفكير الحرّ والنيل من هيبة الدولة، وفي وثائق أخرى. يقول «بينز» في اتهام «مارلو» مثلا، إنه يقول إن المسيح ابن حرام و مثليّ و يستحقّ الصلب. يؤكد «كيد» أن «مارلو» كان

من عاداته يوم عرفته أولاً - وكما أسمعه يقولون، يواصل في مجالسه الخاصة وغيرها - أنه يسخر من الكتب المقدسة، ويهزأ بالصلاة، ويحاول في النقاش أن يشوّه ويدحض ما قاله أو كتبه الأنبياء وأمثالهم من الأبطال " . وثمة «روبرت كرين» المؤلف المسرحي والشاعر الذي كان يغار من «مارلو» بشكل واضح، يتحدث في مقدمة بيريميدس 1588 عن «تحدي الله خارج الجنة في شخص تامبرلين ذلك المُلحد»، وبعد ذلك يندم عن حماقة القول في سيررته، مثل بائع خضار مسرحي بعينه (يقصد مارلو) بأن الله غير موجود، (شروى نقير من ذكاء: *Groatsworth of Wit 1592*). هذه الشهادات وأمثالها يجب رفضها لما فيها من مبالغات، ولأنها صدرت تحت ظروف قانونية يمكن أن تُعدّ في باب الحَمَلات ضد المنشقين. ومع ذلك، ليس من شك في أن «مارلو» قد استكشف، بل استمتع ، بالشك العقلي الذي نادى به الرياضي والفلكي "توماس هاريوت" و"جوردانو برونو" الذي زار إنكلترا في العام 1583-5 وغيره ممن حسبهم العصر عموماً من المفكرين الأحرار والملحدين.

وعلى أي حال، ليس ثمة، على ما يبدو، من يشك في أن «مارلو» كان «لادينيا» كما وصفه «كيد» و«غير معتدل وذا قلب قاس» . هذه السمعة حقيقية، ولو أننا غير متأكدين إلى أي حد كان «مارلو» أبقا و«لا إمعيًا».

ربما كانت مسرحية دكتور فوستس قد كتبت بين 1588-9 وهي بحثٌ عن قوة في شكل معرفة غير محدودة تتطلب ثمنا باهظاً جداً. والدكتور فوستس عالمٌ ويمارس السحر الأسود معاً. وإذ كُرم بلقب دكتور، تفوق في دراسة اللاهوت والعلوم الإنسانية الأخرى، لكنه لا يستطيع البقاء قانعا بما تحمله إليه المعرفة التقليدية. مثل كفاح تيمورلنك، نجد فوستس قد امتلأ بالمعرفة وأخذهُ الغرور، الذي دفعه (مثل إيكاروس) لأن يرتقي بجناحين من شمع إلى «فوق ما في طاقته» حتى اتفقت السماوات على «إسقاطه». هذا هو رأي المقدمة التي تستمر في التفجّع بعبارات مسيحية حول «تعاطي الأعمال الشيطانية» التي تُغري فوستس ليفرط في «السحر اللعين». والجوقة الأخيرة في المسرحية تقدّم إلى فوستس مثالا واضحا عن امرئ «سقوطه الجهنمي» و«نصيبه الشيطاني قد يحذر الحكيم/ ألا يزيد على العجب من الأشياء غير المشروعة».

وفي الوقت نفسه يندب ممثل الجوقة الأخير الضياع المأساوي "لغصن كان يمكن أن ينمو مستقيماً" هو «غصن غار» منذور إلى أبولو، كان قد ازدهر حيناً في إهاب هذا الرجل العليم. والأكثر إنذاراً بالسوء، أن الجوقة ترى مأساة فوستس مأساة رجل مثل غيره من أصحاب العقول الجريئة، سمح لما فيه من «عُمق» أن يُغويه نحو "ممارسة

أكثر مما تسمح به القوة السماوية". وفكرة القيود السماوية على التشوّف البشري لمعرفة أسرار السماوات تذكّرنا بما ورد في المقدمة من أن السماوات «اتفقت» على إسقاط فوستس.

اللغة في مسرحية دكتور فوستس تُقيم علاقة ضديّة بين الإنسانية والآلهة. فكما أن قصة «إيكاروس» يمكن أن تُقرأ بطريقتين اثنتين في عصر الانبعاث، كمثل على حماقة الطموح البشري وكبرهان على أن الآلهة لن تتحمل تحدي «بروميثيوس» لسلطتها، كذلك مسرحية دكتور فوستس يمكن أن تُرى على أنها درس في الاستخفاف أو أنها تأملٌ قائمٌ في اللانطاق والمأساوي في القيود الإلهية المفروضة على الإرادة البشرية.

يمكن أن تبدو مسرحية دكتور فوستس من نوع المسرحيات الأخلاقية في عصر الانبعاث، ومما يقوّي ذلك أن الشخص الرئيسة فيها مستقاة من تقاليد نمط درامي كان مزدهرا إلى ما قبل وصول «مارلو» إلى لندن بقليل. ملاك الخير وملاك الشر من الصور التجريدية في المسرحية الأخلاقية، حيث يُقدّم الأول إلى فوستس نصيحة حكيمة، كما يعرض الآخر إغراءً باليأس. وثمة شخص آخرى تجتمع ثنى حول الشخصية الرئيسة، فالرجل العجوز في الفصل الخامس يحضّ فوستس على الندم على «قذارته القبيحة الكريهة» (الصيغة A, 5-1-41) في مقابل تعليمات مفيستوفيليس كيف «يُنكر الثالوث/ ويصليّ بخشوع لأمير الجحيم» (الصيغة 1.3.53 B). يلحّ العلماء على فوستس أن يتطلّع إلى السماء ليتذكّر أن رحمت الله غير محدودة (الصيغة A 5.2.1243) بينما «قالديس» و«كورنيليوس» الساحران الزميلان يشيران إلى فوستس بالوعد أن جميع الشعوب سترفعه قديسا وتقدّم جوائز ثمينة لقاء معجزات السحر (الصيغة A 1.1.121-50) وحتى المشاهد الكوميديّة مستقاة من المسرحيات الأخلاقية، فالمرآحة بين الفعل الجاد ومشاهد التهريج الماجن هي من الصفات البارزة في المسرحيات الأخلاقية من الجنس البشري *Mankind* 1471? نزولا إلى كلما طال عمرك زادت حماقتك *The Longer Thou Livest*, *the More Fool Thou Art* 1567? وغيرها من المسرحيات في أوائل العصر الإليزابيثي. والأكثر من هذا كلّهُ، أن فوستس نفسه بوصفه الممثل الرئيس هو الشخصية المركزية لصراع روحي يتأرجح بين الإسراف وبين التشوّف ليكون أفضل. فوستس هو صورة «الجنس البشري» في مسرحيته الأخلاقية هو، وبناء على ذلك يعرض علينا تاريخ حياته كاملا منذ ولادته في ألمانيا إلى موته وحلول اللعنة عليه. بوصفها مسرحية أخلاقية، يمكن تفسير دكتور فوستس في إطار المسيحية التقليدية. فالجنة والنار حقيقتان يشهد عليهما مفيستوفيليس نفسه. فعندما يقول فوستس إن

الجحيم خرافة، يأمره الشيطان مواربة " أن يفكر هكذا دائما، حتى تُغيّر التجربة فكره". (2.1.127-8) فقد سبق أن أكد مفيستوفيليس لصاحبه فوستس أنه إنما يخدم إبليس، أمير الشياطين، الذي كان يوما ملاكا محبوبا عند الله، حتى «طرده الله من وجه الجنة» بسبب كبريائه وتعاليه ووقاحته (1.3.68-9) وعندما يشير فوستس إلى أن بوسعه أن يسير مع مفيستوفيليس ويتناقشان معا (2.1.138-9) يقصد أنه يرى القليل مما يخشى في جهنم التي يزعم مفيستوفيليس أنه سجين فيها، والواقع أن وصف مفيستوفيليس لحالته الروحية قد يبدو مما يشجع فكرة مجازية عن الجحيم في كونها حالة ذهنية (بل هذه هي الجحيم ولا أنا خارجها) (1.3.77) أكثر من كونها مكان تعذيب جسدي. ومع ذلك، فإن اللاهوت في عصر الإصلاح الديني يُقدّم رأيا عن قصر نظر فوستس في ما يقول. يعترف «كالفن» بأن المجازات عن النار التي لا تنطفئ والديدان القاضمة هي وسائل للتعبير عن أهوال الجحيم أمام فهمنا البشري المحدود أكثر منها حقائق فعلية؛ لكن ذلك لا يعني قطعا إنكار حقيقة وجود الجحيم، وهي الغياب الأبدي عن الله. ويكون فوستس أحمقا إذا ما أنكر هذه الحقيقة عندما يقف مفيستوفيليس أمامه "مثالا يبرهن على النقيض" (2.1.136).

والجنة ليست أقل واقعية، وبالمعنى الروحي نفسه أكثر من المعنى الجسدي الضيق. مفيستوفيليس لا يريد إخبار فوستس عن «من الذي أوجد العالم» (2.3.65) لكنه يعلم ذلك حق العلم، لأنه سبق أن اعترف بأنه سبق أن «رأى وجه الله/ وذاق المباحج الأبدية في الجنة» (1.3.78.9) يحضُّ ملاك الخير فوستس أن يفكر بالجنة وما في الجنة (2.1.20)؛ والرجل العجوز يحضّه على أن يطلب الرحمة من "مخلصك الحبيب/ الذي دمّه وحده يجب أن يغسل خطيئتك" (5.1.45.6). وعلى الرغم من كل شكوكه في المشاهد السابقة، يدرك فوستس في لحظاته الأخيرة المريعة أن «دم المسيح يسيل في أجواز الكون» وأن قطرة واحدة قد تنقذ روحه (5.2.70.1)، ولو أنه لا يستطيع الوصول إلى تلك النعمة.

النظرة المسيحية التقليدية عن فوستس أنه خاطئ أدركه الظلام هو مما يفسر ما يؤسف له بشكل متزايد في تصرفه. فحتى تشوّفه لإتقان جميع حقول المعرفة، ومن ثمّ الذهاب إلى أبعد ما أنجزته علوم البلاغة والطب والقانون واللاهوت، سرعان ما تكشف عن خيلاء زائفة ومماحكات واقتطافات غريبة من الكتاب المقدس. فأحلامه الإنسانية للخدمة العامة تبتلعها مباشرة حمى متعة الانغماس الذاتي؛ رحلة اكتشاف إلى عجائب روما تنقلب إلى ما لا يزيد على مناسبة لشيء من المزاح الطفولي على حساب البابا. فمشهد الخطايا السبع القاتلة هو في الوقت نفسه عيّنة لنوع التسرية التي يفتقدها ليشغل ذهنه عن حالته الروحية، وتذكير بأن فوستس نفسه يمارس

جميع تلك الخطايا القاتلة. فالمشاهد الكوميديّة عموماً تُبيّن لنا سهولة ممارسة السحر، لأن الشيطان سيلبّي كلّ من يطلبه. فقوى فوستس الهائلة في السحر تُعينه لعمَل ما لا يزيد على خداع تاجر خيول ليشتري حصانا يتناثر إلى حزمة قش، أو أن يبهر الملكية الأوروبية بإحضار عنب في موسم الشتاء.

واللاهوت الكالفني كذلك يشهد على عدالة قدر فوستس الفظيع. وفي مرحلة بعينها يُعلن فوستس لو أنها (الجنة) قد خلقت للإنسان، فإنها قد خلقت لي، فيقرّر أن "ينبذ هذا السحر ويتوب". لكن هذا القرار لا يدوم طويلاً: "لقد تقوى قلبي كثيراً بحيث لا أستطيع أن أتوب" (2.3.10.11 و18). في العهد القديم، الله هو الذي يقوى قلب فرعون. ولو أن هذه الحقيقة لا تحرّر فرعون من المسؤولية عن العناد في الاستمرار على الشر. وفي المبدأ الكالفني ثمة نقيضة مشابهة: فالله قد خلق الإرادة حرّة، لكن بعض الأشخاص مُقدّر عليهم الشرّ مسبقاً ولا يريدون أن يفيدوا من الرحمة. ومع أن التدبير الإلهي في هذه الأمور غامض، إلا أن علينا ألاّ نساءل في عدالته. نقيضة الإرادة الحرّة والقدرية، مركزية الأهمية في دكتور فوستس، تُعالج بصورة مسرحية باستمرار من جانب الغرماء على طرفي الخير والشر.

فعندما يُطمئن ملاك الخير فوستس بأن «الله سيرحمك»، يجب ملاك الشر بأن «الله لا يمكن أن يرحمك». والاختلاف في الرأي ليس حول طبيعة الله، بل حول تعارض التوقعات في طاقات فوستس الأخلاقية. وعندما يدافع فوستس بأن «الله سيرحمني إن ندمت» لأن الله قد يغفر لأسوأ الخطاة، يجب ملاك الشرّ لا إنكار لإمكان الأول من قدرة الله على الغفران بل الإمكان الثاني: «بلى، ولكن فوستس لن يندم أبداً" (2.3.12-17). في تلك الحقيقة تكمن العدالة المفترضة في قدر فوستس. فجريمته هي القنوط من رحمة الله.

والقراءة التقليدية تميل إلى تجريم فوستس، فتُضعف بذلك منزلته المأساوية بالخط من معرفته واعتباره أحقماً. لكن كثيراً من المشاهدين والقراء يستجيبون بتعاطف شديد تجاه إنسان يجروء، ولو على يأس، أن يتحدّى السماء نفسها و«المؤامرة» الإلهية المشار إليها مراراً في المسرحية. ورفض فوستس الشكّي أن يعتقد أن "بعد هذه الحياة يوجد أيّ ألم" (2.1.134) هو نتيجة طبيعية لاستقصاءاته العقلية، حتى لو تبين أنها نتيجة خاطئة.

ومثل ذلك تطلّع الملحاح إلى طبيعة الكون وأصله. هنا، في اللبّ من المسرحية، يقع السؤال الذي أشغل عقول المفكرين في عصر النهضة، وكان في الواقع في سبيل إيصالهم إلى اختراقات كبرى في الفكر العلمي.

قد يكون فوستس منغمسا في اللذائذ وميالا إلى المداعبات السّمجّة في أغلب الأوقات، لكنّ جانباً منه يتشوّق لمعرفة إذا كان ثمة من أفلاك كثيرة فوق القمر وإذا كانت جميعها تدور حول «هذا المركز الأرضي» (2.3.37ff.) . وعندما يجيب مفيستوفيليس بلطف بمعلومات الفلك البطليموسي المقبول في تلك الأيام، أو بصيغة منه في الأقل، مفترضا أن جميع الأفلاك تدور حول «محور واحد/ نهايته تدعى قطب العالم العريض» يكون برّم فوستس مفهوما إذ يقول إن مسائل ضئيلة كهذه يمكن أن يقرّر فيها فاكتر، هذه الفرضيات الغريبة.

ثم ينتقل إلى القضية الأصعب منها جميعا أمام الفلكيين في أواخر القرن السادس عشر: كيف نفسّر حركات التراجع في الكواكب، وحقيقة أننا لا نجد «التحامات، أو تعارضات، أو أوجهاً، أو خسوفات في وقت واحد معاً، ولكن في بعض السنين نجد الكثير منها، وفي بعض السنين القليل»؟ وحركة التراجع في الكواكب الداخلية مثل المريخ – أي الانسحاب إلى الخلف أحيانا في مسار المريخ خلال النجوم الثابتة – بدأ ممّا يصعب تفسيره في عالم أرضي المركز، وحركة تفتقر إلى تداخلات رياضية في شكل أفلاك تدوير فوق أفلاك دائرية.

فما هو تفسير مفيستوفيليس لهذا اللغز الخطير؟ (بسبب حركتها غير المتعادلة بالنسبة إلى الكلّ) (2.3.64) وجواب فوستس الموارب – "حسنا لقد أجبتني" – ينم عن اعتراف بأنه قد أفحم بمراوغة بارعة خيّم على المشكلة برّمتها. هل أجيب فوستس بهذا الشكل لأنه لم يكن ثمة من جوابٍ ممكنٍ آخر، أو لأن القوى السماوية لن تسمح له بأن يعرف المزيد؟

وثمة سؤالٌ مماثل يلحّ في العودة إلى فوستس كلّما سأل السؤال الأشد صعوبة وهو لماذا غدا محطم القيم الذي صنعت منه الحياة بشكل بعينه.

وإذا كان لدى المذهب الكالفني جوابه الخاص، بأن الله قد قوى قلب فوستس علامة على، وتحضيراً لنهايته المقدّرة، فلنا أن نرى في فوستس بطلا من تصوير مارلو الباحث الذي يتشوّف لمحض أنه بشري. فذهنه المُستعلم لا يمكن أن يتنازل عن الرغبة في معرفة المزيد، حتى لو كانت تلك المعرفة وهمية. وحتى عندما يدرك بوضوح أن طبيعته الجوهرية هي ما يدينه فهو لا يقوى على أن يكون غير ما هو عليه. في ذلك الإدراك تكمن المأساة البشرية لهذا الرجل العظيم الأحمق.

توجد مسرحية دكتور فوستس في نصّين اثنين مُبكرين، نشر الأول في العام 1604 (وهو ما يدعى النص A) ونشر الثاني في العام 1616 (وهو ما يدعى النص B). والتحليل أعلاه يقتطف من النص A وحسب، لأن ذلك النص، في نظر المحرر، يمثل بشكل أقرب المسرحية التي كتبها مارلو في حدود 1588 – مع احتمال كبير بالتعاون

مع مؤلف آخر في المشاهد الكوميديّة. ولأن المسرحية كانت كبيرة الرواج، وكانت تُستعاد في المسرح عددا من المرّات، فإن نصّ التمثيل ربما كان قد تغيّر بشكل كبير. ففي العام 1602 قام «فيليب هونسلو» صاحب المسرح الذي مُثلت فيه المسرحية، بالاتفاق مع اثنين من كتاب المسرحيات أن يكتبوا إضافات على «دكتور فاوستس». وكان «إدوارد آلين» أبرز الممثلين في فرقة «رجال الأدميرال» وأحد أعظم الممثلين في زمانه، هو الذي قام بالدور الرئيس في هذا التجديد كما كان قد فعل في الإخراج الأصلي وفي عدد من مسرحيات مارلو الأخرى.

ويبدو أن النص B يتضمن إضافات 1602. ففي توسّعه في التعامل مع المشاهد الكوميديّة، وافتتاحه بالموثرات السحرية في المسرح، يُقدّم لنا النص B صورة حيوية عن تطور المآسي الكبرى في العصر الإليزابيثي من خلال التجارب المسرحية في العقود الأولى من التمثيل بعد وفاة مارلو. كما يُقدّم النص B توكيدا لاهوتيا جديدا، يعطي فاوستس، في تناقض ظاهر، اندفاعا أكبر في اختيار الشرّ، كما يُعطي مفيستوفيليس دورا أكثر نشاطا وفسادا في إغواء ضحيّته.

هوامش مقدّمة المُحرّر

- 1 – أبولو Apollo في الميثولوجيا الإغريقية والرومية، إله الشعر والحكمة والموسيقى. وكان الشاعر أو العالم المبرّز يُكلّل جبينه بغصن من شجر الغار.
- 2 – بروميتيوس، في الميثولوجيا، الإله الذي سرّق النار لمصلحة البشر، فعاقبته الآلهة بربطه بسلاسل على صخرة جبل، وأرسلت النسّر لينقرّ من كبده يوميا، إلى أن جاء البطل هيراكليس فأنقذه من قيوده.
- 3 – المسرحية الأخلاقية *morality play* نمط من المسرحيات شاع في إنكلترا بين 1450-1550 متطورا عن مسرحية المعجزات *miracle*، فيه ترميز عن الخير والشر والخلاص من الذنوب بالمفهوم المسيحي.
- 4 – كالڤن Calvin المصلح الديني البروتستانتي (1509-1564) شكّل مع عدد من أتباعه حركة إصلاح ضد الكنيسة الكاثوليكية.
- 5 – بطليموس Ptolemy (90-168م) إغريقي – رومي – مصري: فلّكي، رياضي، شاعر، فيلسوف، بقيت آراؤه في الفلك سارية لأكثر من ألف سنة من القرون الوسطى وهي أن الأرض مركز الكون وتدور حولها الأفلاك.